إبراهيم محمّد الجمل

مُشكلات في طريق المرأة المسلمة

الناشر
دار الكتاب العربي



مُشكلات في طريق المرأة المسلمة

مُشكلات في طريق المرأة المسلمة

إبراهيم محمّد الجمل

الناشر
دار الكتاب العربي

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ ١٩٨٥م

دار الكتاب العربي

الرملة البيضاء - ملكارت سنتر - الطابق الرابع تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨
تلكس: ٤٠١٣٩ .L.E كتاب برقيا: الكتاب ص.ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

مقـدمـة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين . .

أما بعد . .

فإنه من أصعب الأوقات أن يجد الانسان نفسه في مشكلة . . خاصة إن وقف منها موقفاً سلبيا . . أو تثبتت قدماه أمامها . .

لأن المشكلة تعني الحرج الذي وقع فيه . . وما يترتب على هذا الحرج من نتـائج ومسببـات . وتتفاقم المشكـلات حتى ينصب صاحبهـا . . ويضيق صـدره بالعيش . . فيتجه إلى الطريق المعوجة . . يحاول بها نسيان الواقع . .

عنـد الرجال تعود تام على المشكلات . . تتناسب بين وجودها في عالمهم وبين خلقتهم ووجودهم على وجه الأرض . .

لكنها لا تتناسب بحال من الأحوال مع المرأة حيث الرقة والـرحمة والحنـان والوداعة . . فهي تميل إلى الصفاء لا الكدر . . وإلى الهدوء لا الصخب .

والعقلاء عامة لا يقفون من مشكلاتهم موقف العجز . . بل يتصدون لها ويواجهونها . . محاولين دراستها وبيان معالمها . . ثم وضع سبل علاجها . .

فالتحرك السليم القويم نحو المشكلات تستريح به النفس ويهدأ به الضمير . . وبغيره تكبت حتى تصل إلى اللاواعية الناطحة التي عضها الزمان .

والمرأة صاحبة الحياء الهادئة . . تستطيع أن تكون أكثر عطاء للبشرية . . ذلك أنه يقوم على سواعدها الكثير والكثير مما لا يستطيع الرجال أن يحققوه .

لـذا وضعت هذا الكتاب الذي يهدف إلى محاولة ايجاد حلول كاملة لمشكلات المرأة في هذا العصر .

ـ فجعلت الفصل الاول منه في بيـان حال المـرأة عند مفكـري الغرب . . وعند مفكري العرب . . ومنزلتها في الاسلام .

ـ والثاني في بيان مسائل المرأة في الفقه الاسـلامي . . وقد تنـاولت أموراً وضحتها في « فقه المرأة » . وفي « فتاوى النساء » ولكن تعرضي لها هنا يـأتي من حيث كونها مشكلة يمكن أن تؤرق المرأة . . وليس من حيث كونها قاعدة فقهية أو مسألة علمية . .

ـ والثالث في بيان مشكلات الحضارة وما اضافته من أعباء جسام على عاتق المرأة . . وتناولت فيه سيكلوجية المرأة . . وبعض الحالات النفسية التي يمكن أن تمر بها . . والأمراض التي تعتريها إن هي أهملت نفسها .

ـ والرابع في بيان ، مشكلات المرأة قبل الزواج وبعده . .

قـد حاولت جهدي أن يجمع هذا العمل بين دفتيه ما يعتري المرأة من آلام . . وما يجول بخاطرها من أوهام . . وما يعترض طريقها من عقبات جسام . . وما يمكن أن يؤثر على حياتها النفسية وذاتها الاسلامية . . وخصوبتها الأنثوية .

لعلي بهذا أكون قد أتممت ما أصدرته « للمرأة المسلمة) التي هي أمل كل

حاملي الأقلام . . ومنشدي الاصلاح . . وكل ذي لب مستنير أراد للبشرية السعادة والهناءة والفوز في الدنيا والآخرة . .

أسأله سبحانه أن ينفع به . . وأن يجعله في صحائف أعمالي . . يوم الورود عليه والوقوف بين يديه . . انه سميع قريب مجيب الدعاء .

ابراهيم محمد الجمل

الفصل الأول

المرأة حائرة

المرأة حائرة

تسمع الكثير كل يوم من هنا وهناك . . تسمع من يفتي في مسألة . . ثم تنصت لمن ينقضها في اليوم التالي . .

تتصنت على الفلاسفة وهم يتهامسون عنها . . فمنهم من وضعها . . ومنهم من رفعها . . ومنهم من غازلها . . ومنهم من ظلمها . .

فهم فئتان . . الأولى تناشدها المطالبة بحقوقها . . والثانية تحاول أن تحدد معالمها وعملها في المجتمع . .

الأولى : قامت آراؤهم على الوهم وتصّنع الأحداث . . ومغالطات النفس . .

والثانية : خضعوا لأمر الله . . ودرسوا الواقع الملموس واستفادوا من تجارب الآخرين . . وبحوث المناطقة والفلاسفة وعلماء النفس الغربيين والشرقيين . . فأرادوا لها العيش هنيئاً . . وأرادوا أن يجنبوها الظلمات . .

ولكنها ما زالت حائرة . . وأرجو منها أن تتناسى كل ما قيل عنها يوماً وتحّكم عقلها ثلاث ساعات لتصل إلى الحق من خلال ما يعرض عليها في هذا الكتاب . وبالله التوفيق .

دعاوى غربية :

حاول الغرب الصاق التهم بالمرأة المسلمة . . ذلك أن بغيته ـ في تحرر المرأة سفورها ـ يحجزها عن الاسلام ويمنع انتشارها . . لذا لجأ إلى التشهير والتنكيل . . وسنحاول هنا أن نعرض لآرائه من خلال مقال الكاتب « جورديان » .

جورديان . . والمرأة المسلمة . .

١ ـ يقول جورديان[1] « إن الله لا يطلب من المرأة صلاة ، أو زيارة للمسجد . اكتفاء بأن تعبد الرجل الذي هو صلة بينها ، وبين ربها » أ . هـ .

ـ والحق أنه ليس في دين الاسلام أحد يغني عن أحد ، وليس فيه أحد يسجد لآخر ، أو يعبده من دون الله . وليس فيه صكوك غفران ، أو كراسي اعتراف ، أو غفران أب لأبنائه .

ففي القرآن الكريم : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾[2] ، ﴿ **كل امرىء بما كسب رهين** ﴾[3] ، ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[4] .

وفي الأحاديث النبوية :

« عن عائشة رضي الله عنها أن اسامة كلم النبي ﷺ في امرأة سرقت فقال : « انما أهلك من كان قبلكم . أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع . . ويتركون الشريف . . والذي نفسي بيده . . لو أن فاطمة بنت محمد فعلت ذلك لقطعت يدها »[5] . أ . هـ .

---

(١) عن مقال مترجم عن مجلة المانية تصدر بمدينة (همبورج) تحت اسم (شتيرن) شاركت في اعداده كاتبة اسمها (كلاوده ديفارجه) .
(٢) المدثر : ٣٨ .
(٣) الطور : ٢١ .
(٤) الزلزلة : ٧ ـ ٨ .
(٥) البخاري ـ باب اقامة الحدود .

وفي البخاري أيضاً عن عائشة رضي الله عنها : « أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم رسول الله ﷺ ؟ ومن يجترىء عليه الا أسامة حب رسول الله ﷺ ؟ فكلم رسول الله ﷺ . فقال : أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب . قال : « يا أيها الناس : انما ضل من قبلكم . . أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد . وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »[1] أ . هـ .

إن الاتصال بالله في دين الاسلام : هو اتصال مباشر ، لا يحتاج إلى وساطة أو شفاعة أو مساعدة يقول الله في محكم كتابه : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب . أجيب دعوة الداع إذا دعانِ** ﴾[2] . . وبيَّن الكتاب العزيز أنه لن يغني أحد عن أحد يوم القيامة . . ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾[3] . .

٢ ـ وتصور جورديان أن المرأة لا يجوز مسها فقال : « وإذا قدر للرجل أن يلمس جسدها فيجب أن يغتسل ويتطهر . . قبل أن يقف بين يدي الله » فلعله سمع عن ما في الاسلام من طهارة الغسل بعد الجماع . . فظن أن هذا الغسل إنما وجب لأن المرأة نجسة ، وظن أن الجماع مجرد لمس جسد لجسد ؛ هكذا يكون حفظ شيئاً . . وغابت عنه أشياء . . ويكون كما قال القائل . .

وكم من عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

ـ إن عملية الغسل هذه طهارة ونظافة ، وازالة حدث وظلمة اعتبارية قامت بالأعضاء . . وهي في الوقت نفسه تجديد للنشاط بعد الفتور الذي حصل للجسد في عملية الجماع . . وهذا مما شهد بعظمته وجدارته علماء الطب من غير المسلمين . .

---

(١) البخاري ـ باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان .

(٢) البقرة : ١٨٦ .

(٣) عبس : آية ٣٤/٣٧ .

والغسل بعد الجماع واجب على المرأة كما هو واجب للرجل ولا يقف احد منهما بين يدي الله للصلاة إلا إذا تطهر فهل نقول : على حسب فهم « جورديان » أن المرأة تغتسل لأن الرجل نجس كالكلب والخنزير ؟ أم نقول : إن للنظافة والطهارة في دين الاسلام عرفاً عريقاً . . ففي الوقت الذي كانت تعاليم الاسلام تحث المسلمين لانتهاج منهج النظافة في مساكنهم وملابسهم ، ومآكلهم ، وشوارعهم ، ومرافق حياتهم . . كان الغربيون الاوروبيون يعبدون الله ، ويتقربون اليه بالقذارة . . دون غسل أجسادهم بالماء . . فتنبعث الروائح الكريهة منهم ومن بيوتهم وشوارعهم آناء الليل وأطراف النهار . .

٣ ـ يقول جورديان مشنعاً ومتأسفاً : « كل رجل مسلم باستطاعته الزواج من أربع وأن يمتلك ما شاء من الجواري » .

ـ والأمر ليس على اطلاقه كما يفهم . . فإن لاباحة الزواج وتعدده في الاسلام أسباباً وظروفاً . . فقد جاء الاسلام ، وتعدد الزوجات متفش بين الناس دون قيد أو شرط ، فلم يشأ أن يمنعه منعا باتاً فيكون الحرج والعنت والتضييق الفجائي .

ولم يشأ كذلك أن يتركه على حاله من الفوضى الهمجية بل توسط في الأمر فجعل الحد الأقصى أربع زوجات بشرط القدرة على العدل بينهن ، والاقتدار على القيام بواجبهن جمعياً على حد سواء ، من الوجهات المالية الصحيحة والاجتماعية ، وعدم اضرار الرجل بنفسه وزوجاته وأبنائه . . فان خاف شيئاً من ذلك ، وأحس من نفسه عدم القدرة على العدل والنهوض بهذه الأعباء فيحرم عليه أن يتزوج بأكثر من واحدة . .

قال تعالى : **﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، أو ما ملكت ايمانكم ﴾**[1] .

ثم إن التشريع الاسلامي قال عن هذا العدل : **﴿ ولن تستطيعوا أن**

(١) النساء :٣ .

تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وإن تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيماً ﴾[1] . .

فإذا أمعنا النظر وجدنا أن العدل بين النساء أمر يصعب على الرجل ولن يستطيعه إذا زاد العدد . . فتكون النتيجة تحبيباً وترغيباً في اغلاق باب التعدد .

إلا أنه مع ذلك قد توجد ظروف لا يسع اي عاقل ، أو منصف إلا أن يبيح تعدد الزوجات فيها تمشياً مع يسر الاسلام وواقعيته ، فإذا تزوج الانسان بامرأة وكانت عقيماً لا تلد . . فلماذا يحرم الرجل من الأبناء والذرية وهما من زينة الحياة الدنيا ؟ وهل الأكرم لها أن تبقى في عش الزوجية ، وكنف الرجل وان تزوج غيرها معها ، أم الأكرم لها أن تطلق وتُنبذ نبذ النواة ؟ . .

وإذا مرضت الزوجة مرضاً عضالا ميئوساً من شفائه ، فلماذا لا يتزوج الرجل بأخرى ؟ أيطلقها مريضة ميئوساً من شفائها عالة على الناس . أم يقع في الحرام مع غيرها ؟ أم يتعجل نهاية حياتها فيتخلص منها ؟ وعندها يتسنى له أن يتزوج بغيرها كما يفعل ذلك بعض الذين لا طلاق ولا تعدد عندهم ؟ .

إذا قرر الأطباء الثقات أنه لا يجوز لهذه الزوجة أن تحمل أو تلد والا عرضت حياتها للخطر . .

يقول الشيخ محمود شلتوت : « عرف الزواج في طبيعة البشر الأولى ، وعرف كذلك تعدد الزوجات في الحقب الماضية ، وكان له في كثير من الشرائع السماوية وجود واسع وامتداد إلى عدد كثير ، كما يحدثنا التاريخ عن ابراهيم ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء . والمرسلين ، وكما يحدثنا عن العرب وغيرهم من أكثر بلاد المعمورة حتى عند أهل أوروبا ، فقد كان مباحاً عندهم إلى عهد شرعان الذي كان متزوجاً بأكثر من واحدة ، ثم اشار القساوسة في ذلك الوقت على المتزوجين بأكثر من واحدة ، أن يختاروا لهم واحدة ، من بينهن يُطلق

---

(١) النساء : ١٢٩ .

عليها زوجة ، ويُطلق على غيرها اسم خدن » ومن هنا أخذ التعدد في أوروبا لوناً بغيضاً يقزز النفس ، ويحرج الصدر ، وينزل بالخُلق ، وظل التعدد محذوراً عندهم بالارتباط الشريف ، مباحاً بالمخادنة : أ . هـ .

والتوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى معاً تبيح تعدد الزوجات والإماء . بدون عدد محدد . وقد ورد في التوراة على لسان سليمان عليه السلام هذا النص « وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موابيات ، وعمونيات ، وأدوميات ، وصيدونيات ، وحثيات من الأمم . . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاث مائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه » أ. هـ[1] .

٣ ـ يقول جورديان عن المرأة « أنها في نظر الإسلام أقل عقلاً من الرجل ، وأنها أمام القضاء شهادتها نصف شهادة الرجل ، وكذلك أمام الله »

ـ ولسنا ندري أمام الله إلا أن يكون ذلك في يوم القيامة ، وشهادتها هناك كأي رجل يشهد ، أو أي شيء يشهد . أما أن يكون جورديان يعتقد أو يظن أن لله في هذه الأرض ، وهذه الحياة الدنيا جلسات يجلس فيها للقضاء فيعتبر شهادة المرأة نصف شهادة الرجل ، فهذا شيء لا نعرفه ، ولم نسمع عنه ، ولم ينقله أحد من المسلمين . .

كذلك أن تكون شهادتها أمام القضاء نصف شهادة الرجل فشيءلا يعززه الفهم الصحيح الدقيق لتعاليم الاسلام ، فان الآية الكريمة التي لعل « جورديان » يعنيها ، ويفهم منها هذا الفهم الخاطىء غير واردة في مقام القضاء والتقاضي ، واقامة الشهود في ساحة القضاء أمام القضاء ، بل هي واردة في مقام كتابة الدين ، وتوثيقه والاشهاد عليه . . من حيث إنه تثبيت واستيثاق ، وتذكير بين الناس بعضهم مع بعض ، وذلك حيث يقول تعالى :

---

(١) الملوك الأول : ١١ : ١ - ٣ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى ، فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ، وليملل الذي عليه الحق ، وليتق الله ربه ، ولا يبخس منه شيئاً . فان كان الذي عليه الحق سفيهاً ، أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو ، فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما ، فتذكر احداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله . ذلكم أقسط عند الله ، وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم ، فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا إذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد .وإن تفعلوا فانه فسوق بكم ، واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم ﴾[1] .

ومما يدل على أن الآية في توثيق الدين بالكتابة للتذكير بين المتعاملين فقط ، أنه جاء بعدها مباشرة آية الاستيثاق للدين بالرهن فقال تعالى : ﴿ وإن كنتم على سفر ، ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته ، وليتق الله ربه ، ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه آثم قلبه ، والله بما تعملون عليم ﴾[2] .

أما في التقاضي والشهادة أمام القاضي ، فان للقاضي أن يحكم بشهادة النساء دون الرجال وبشهادة امرأة واحدة ، وبأية قرينة أو بينة ، فان أقصى ما يطلبه القضاء هو البينة على صدق الدعوى ، والبينة في الشرع أعم من الشهادة .

وقد نص علماء المسلمين على أن من القضايا ما تقبل فيه شهادة المرأة وحدها ، وهي القضايا التي لم تجر العادة باطلاع الرجال على موضوعاتها كالولادة ، والبكارة ، وعيوب النساء الداخلية .

---

(١) البقرة : ٢٨٢ .
(٢) البقرة : ٢٨٣ .

المفكرون . . والمرأة :

أرادوا يوماً أن ينهضوا بها . . وأن يظهروا لها الحنان . . رغبة في المودة . . فرفعوا أصواتهم منادين بحريتها .

وآخرون بحثوا في أمرها فقالوا عنها الكثير . . ولكنهم لم يلمسوا جراحها . . ولم يتبينوا مشكلاتها . .

وآخرون انصفوها فبينوا قيمتها وما ينبغي أن تكون عليه . .

وآخرون اتخذوها هزواً . . شيئاً أشبه بالمادة الصامتة . . أخذوا يغازلونها ويتحدثون عن جمالها الفتان . . وقوامها الجذاب . . ورشاقتها البديعة . .

وهناك جماعة من أصحاب الاقلام المتمكنة . . وأصحاب الرأي السديد . . والعقل المستنير . أضافوا إلى الحياة الثقافية كثيراً من الثراء الفكري . . وأمدوا الانسانية بنتاج من الفكر القويم الذي أسعدها . . ولكنك تجدهم قد وقفوا من المرأة موقفاً لا يُرضى بحال . .

ولا يمكننا هنا أن نتجاهل الجهد المشكور من بعضهم في خدمة المرأة . . وبيان طبيعتها ودراسة سلوكها وسيكولوجيتها . . وقد بينا فيما سبق نموذجاً للفكر الغربي وسنحاول أن نبين الآن نموذجا آخر للفكر العربي . . ثم نبين مكانة المرأة في الاسلام .

العقاد . . والمرأة

أكن للاستاذ العقاد كل حب وتقدير . . وكنت أتمنى أن أراه في حياته وأن أجالسه وأناقشه . . فهو من كبار مفكرينا . . ومعلوم ما أثرى به المكتبة العربية . . ولكني أعاتبه على ما كتبه عن المرأة . . وإليكم ما كتبه عنها . .

يقول الاستاذ العقاد :

« المرأة لم يحجر عليها في الغناء والعزف ومع هذا لم يتجاوز حظها من الغناء طبقة الأداء الحسن إلى طبقة الخلق والابداع » أ . هـ .

والظاهر أن استاذنا لم يسمع عن آراء الأئمة الأربعة في الغناء . . وما بذله الفقهـاء من البحث الدقيق والافتـاء في هذه المسـألة . . وهـو الـرجـل المنـطقي الحكيم . .

ولقد أوردت في « فقه المرأة المسلمة » فصلا عن الغناء . . فلترجع اليه من تشاء وسنحاول جهدنا أن نقف عنده وقفة تأملية في هذا الكتاب أن شاء الله .

يقـول الاستاذ العقاد :

« وتنوح المرأة على موتـاها ، وتتخـذ النواح عـلى الموتى صنـاعة لهـا في غير مآتمها ، ولم تؤثـر عن النساء قط في لغـة من اللغات مـرثاة تضـارع المراثي التي نظمها الرجال » أ . هـ .

ولقد وجدت تعليقـات من احدى الاستـاذات على هـذه الفقرة . . وكنت أود أن تدافع دفـاعاً نـظيفاً عن بنـات جنسها يكفـل لهن الكرامـة ويزيـح عنهن المهانة . . ولكنني وجدت غير ذلك مما آسفني . . وأحزنني . .

تقول المعلقة : « هذا الأمر يتعلق بقدرة النظم . وهذه يترتب عليها الحفظ والذيوع ، ولكن بين (عديد) النساء ما يفجر الصخر ، وقد دخل فعلاً في عداد الفنون القولية أو الشعبية على الأقل ، على أن أشهر مراثي الأدب العربي ما أُثـر عن الخنسـاء .

وقال في الرقص مثل ما قال في الغناء ، ولكن هذا الأمر لا يمكن أن يكون قاعدة مطلقة لأن المرأة التي استطاعت أن تـدرس الطب والهنـدسة وتنجـح فيهما تستطيع أن تدرس الرقص وغيره وتبلغ في نجاحها مبلغ الرجال ، وتستطيـع أن تفوقهم كما فاقتهم أحياناً كثيرة في ألوان الدراسات الأخرى . .

والأستاذ العقاد نفسه يقول بهذا ، ولكن على سبيـل الاستثناء الـذي يؤ يد القاعدة ولا ينفيها ! لماذا ؟ . . إن أشهر نجوم فن البالية راقصات مثل « بافلوفا » و « أولانوفا » و « ايزادورا » لأن فضل الأجناس في رأيه . . ثم نقلت رأي الاستاذ العقاد . .

« لا يقاس بالنصيب المشترك بل يقاس بالغاية التي لا تدرك ولا تؤخذ بالاستثناء الذي يأتي من حين إلى حين ، بل بالقاعدة التي تعمم وتشيع بين جملة الأحاد ، وقد يوجد بين الصبيان من هو أقدر على أعمال الرجال ، بل قد توجد في أثناء الليل ساعة أضوأ من بعض ساعات النهار ، وانما تجري الموازنة على الغايات القصوى ، وعلى الأغلب الأعم في جميع أحوالك ، وما عدا ذلك فهو الاستثناء الذي لا بد منه في كل تعميم » أ . هـ .

ثم تعلق ثانية فتقول :

« لماذا اذن لم يأخذ بهذه القاعدة عند الحديث عن نبوغ العبيد من الرجال ؟ قاعدة الأغلب الأعم »أ. هـ[1] .

وأسأل نفسي : هل يعتبر كشف المرأة لعورتها ليتلذذ به الرجال . . والتواؤها وهزها لبطنها وصدرها . . فناً . . أم امتهاناً وسخرية منها . . واحباطاً من شأنها . . وإهداراً لكرامتها . . ؟ هل تصدق الكاتبة الصحفية الاستاذة : فن المرأة وعملها ومسابقتها للرجال . . وتفوقها في كل المجالات على حساب بيتها وأولادها وزوجها . . وكرامتها ؟ . .

أفهم بامكانياتي الضئيلة . . أن عوام الناس هم الذين غرقوا في هذا الوهم . . أما الكتاب والمثقفون . . فلقد رزقهم الله بصيرة على أساس من العلم وفهم لحركة الحياة يفرقون بها بين الحق والباطل . . فماذا جرى ؟ .

وفي شعر الاستاذ العقاد . مخاطبة للمرأة ووصف لها فيقول :

أهجوك يا أكرم من أمدح ومن باطرائي لها أصدح
أهجوك والتسبيح أحرى بما أجد فيه اليوم أو أمزح
قاسية أنت ولكنني أقبل الكف التي تجرح

(١) الجمال والحرية والشخصية الانسانية في أدب العقاد (١١٢) للدكتورة نعمات أحمد نعمات ـ ط دار المعارف ١٩٧٦ .

وأعظم القسوة تلك التي يلهو بها المجروح بل يفرح[1]

ويقول في وصفها :

ماذا من الدنيا ـ لعمري أريد أنت هي الدنيا ، فهل من مزيد ؟
فيك لنا نور ونار معاً وأنجم زهر وأفق بعيد
وفيك روض سفر عاطر وجوهر حر ودر نضيد
ونشوة الخمر إذا قوبلت بنشوة منك متاع زهيد
والفن أن لم تك نجواه من نجواك لغو باطل لا يفيد
وكل ما في الكون من روعة لها نظير فيك حي جديد[2]

هكذا خاطب العقاد المرأة ونصحها . . فأكثر لها النصح . . بوصفه وهيامه ودموعه وخضوعه ونواحه . . ليته بحثها بحثاً علمياً كما فعل في أمور أخرى . . وليته نصحها على أساس من العلم . . لا من الوهم ومن خلال الخيال . .

المرأة المسلمة :

المرأة المسلمة انصفها الاسلام منذ نزوله . . فضمن لها حقوقها ومالها . . وصان عرضها . . وقرر كرامتها . . وشرح واضعاً المرأة في مكانها الطيب اللائق بها . . وجاء من ادعوا محاولة اصلاح حالها . . واعطاءها حقوقها . . فأفسدوا عليها حياتها . . وهاك جانباً من منزلتها في الاسلام . .

المرأة الأم :

أوصى الاسلام باحترامها واكرامها ، كما أوصى بالوالد ، وجعل الأمر بالاحسان اليها تالياً في الذكر والحديث للأمر بتوحيده ، وعبادته سبحانه وتعالى

(١) اشجان الليل ص ٢٩٩ .
(٢) المرجع السابق .

فقال : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ﴾[1] وقال : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احساناً ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ، ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾[2] . .

المرأة الزوجة :

والمرأة لا تزوج الا باذنها واستشارتها . . وأوجب الاسلام لها على الرجل أن يدفع لها مهراً اعزازاً واكراماً لها . . واشعاراً بالرغبة والمحبة والتضحية في سبيلها . كما أوجب اشهار الزواج ، والاشهاد عليه للمحافظة على الأنساب والأعراض . . فاذا صارت زوجة بالفعل فقد صارت شريكة حياة زوجها ، لها عليه حقوق ، وله عليها حقوق كما هو الشأن في جميع مظاهر الحياة وواقعها . . وأوصى الاسلام بالنساء خيراً . . ونهى عن سوء المعاشرة حتى مع كراهية الزوج لزوجته . .

وهكذا إذا كانت المرأة بنتاً أو أختاً صانها الاسلام وحافظ على كرامتها وشرفها . . كما تعلم كل مسلمة . .

فليتها تتجه ببصرها وقلبها نحو الاسلام بعيداً عن تشويه المفكرين ودعاوى الغربيين . . واحباط الاعلاميين . . وليتها تزن ما يعرض لها في حياتها بميزان لا يطفف أبداً لأنه ميزان الحق « الاسلام » .

---

(١) النساء : ٣٦ .

(٢) الاسراء : ٢٣ .

الفصل الثاني

مسائل المرأة في الفقه الاسلامي

مسائل المرأة في الفقه الاسلامي

الفقه قواعد وأصول . . وبه تستطيع المرأة تنفيذ ما أمر الله . . ولقد وضعت « فقه المرأة المسلمة » ملماً بهذه القواعد والأصول كذلك وضعت فتاوى النساء كتطبيق عملي عليها كما ذكرت من قبل . ـ ولكن قد تجد المرأة بعض المشكلات . . وعمل هذا الفصل هو محاولة لإيجاد حلول لمشكلات المرأة من هذه الناحية .

الحيض :

وهو دم يخرج من قبل المرأة حال صحتها من غير سبب ولادة ، ولا افتضاض .

وقد جعله الله سبحانه تذكرة لبنات آدم . . فهن بطبيعتهن يحببن الدنيا وزينتها . . فالحيض يسبب للنساء آلاماً شتى ، فانهن يجدن في فترة الحيض انحرافاً في مزاجهن ، ويشعرن بحدة في طبعهن .

ومشكلة الحيض عند النساء يجب ان تنهيها المرأة من حياتها بكثرة الذكر والدعاء واللجوء إلى الله . . وإن كانت قد منعت من لمس المصحف . . فهي لم تمنع من الذكر والدعاء . . فحين يكون الانسان مع ربه يشعر بالأمان التام والاطمئنان والسعادة . . فإذا حدث هذا في تلك الفترة . . فإن هذا الانحراف

الحادث يندثر تقريباً ولا تحس به المرأة . .

أما المشكلة الأخرى فإن بعضهن يخفين عن الزوج فترة الحيض رغبة في الجماع . . فتتسبب بذلك الأذى لنفسها ولزوجها . . قال تعالى :

﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾[1] .

ولقد تحدثنا في (فقه المرأة) عن الأضرار الجسيمة التي يمكن أن تصيب المرأة والرجل معاً إذا حدث جماع في هذه الفترة . . فلترجع اليه من تشاء . .

والناجحون دائماً يمتلكون قوى النفس بين أيديهم . . يصرفونها كيفما أراد الله . . فلا يدعونها تنطلق لتجرف أصحابها إلى الهاوية . . والمؤمنة أشد حرصاً على مصلحتها وعلى مصلحة زوجها فهي تستطيع أن تمنع نفسها في هذه الفترة ، وتمنع زوجها بلين وإقناع إذا أراد . .

المصافحة :

قال تعالى : **﴿ أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا ﴾**[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « إن كان رسول الله ﷺ ليصلي وإني لمعترضة بين يديه اعتراض الجنازة حتى إذا أراد أن يوتر مسني برجله » أ . هـ[3] .

والحديث فيه دليل على أن لمس المرأة للرجل لا ينقض الوضوء . . وهناك تفصيل عند الأئمة واختلاف كثير فصل فيه العلامة الشوكاني بقوله : « وأوسط مذهب مذهب من لا يرى اللمس ينقض الا لشهوة » . .

---

(١) البقرة : ٢٢٢ .
(٢) النساء : ١٤ .
(٣) اخرجه النسائي . . وقال ابن حجر في التخليص اسناده صحيح .

فمشكلة الملامسة : شك المرأة في وضوئها . . فاذا وضعت حائلا لم ينتقض وضوءها . .

أما المصافحة وهي مشكلة العصر . . فأمرها عجيب غريب حقاً . . فلم يعد يعبأ الناس بأحكام الله وشرعه . . فيما يختص بها .

فقد أفتى كثير من العلماء بحرمتها . . ولكن الملتزمة تعاني من ذلك كثيراً خاصة إن كانت عاملة . . فأقرباؤ ها وزوار بيتها لا يفرقون بين ما شرعه الله وبين ما يحدث في المجتمع . . فماذا تفعل ؟

ـ عليها دائماً أن تبتعد عمن يريد مصافحتها . . فاذا كان الأمر سيتكرر كثيراً فلتعلن أنها لا تصافح الرجال . . فذلك أهون عليها من الوقوع في المحظور . .

ـ فإذا لم تجد سبيلا ولم تستطع المنع في أوقات ما . . فعليها أن تسأل الله المغفرة والعون على طاعته . .

ـ وصدق الشيخ محمود السبكي حينما قال :

ووضع يد الذكر العاقل   براحة أنثى بلا حائل
يسمى بتعبيد ذي الباطل   حرام حرام على الفاعل

طلاء الأظافر :

تستعمل بعض النساء طلاء للاظافر يسمى (الاكلادور) أو (المانيكير) أو غيرهما . .

وطلاء الأظافر يمنع وصول الماء اليها مما ينقض الوضوء فتبطل الصلاة . .

ثم إنه لا يتفق غالباً إلا مع الأظافر الطويلة وهذا منهي عنه . .

وتظن المرأة أنها بوضعها هذا الطلاء إنما تزين نفسها بزينة حلال . . وهذا خطأ . . فهو زينة محرمة . . لأنه من دواعي الفتنة . . وإن كان ظهور اليد عارية

قد أباحه الاسلام . . فإن الله قد نهى عن ضرب النساء بأرجلهن . . وعلل ذلك فقال : ﴿ ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ وهو الخلخال على أقوال أكثر المفسرين .

واسأل التي تضع هذا الطلاء . . وأدعوها إلى أن تمعن النظر في يديها . . ألا تجدها قد تحولت إلى ما يشبه عروسة الحلوى . . أو هيكل « الفترينات » ؟ .

ألا يجدر بها أن تكون صاحبة يد أنثوية طبيعية بعيدة عن التزييف متقية للشبهات ؟

وأنا أعلم أن كثيرات لم يفكرن في الطلاء بـل رأين ففعلن . . لذا يغضبن عنـدمـا يسمعن زجـراً عن هـذه الفعلة . . ولكن يـا أختـاه : ألحق واضـح كالشمس . . والعاقل من نظر إلى الحق ليتبعه . . وتتبع الباطل ليجتنبه . .

المكياج :

المكياج أو الأصباغ التي تزين بها المرأة نفسها من الزينة المحرمة ، حتى ولو ارتدت حجاباً ولم يظهر منها الا الوجه والكفان . .

لأنه أيضاً من الفتنة ، ومن دواعي الفواحش ، وهو في الحق امتهان لأمر المرأة نفسها لأنها تحاول جهدها الظهور بمظهر الجميلة الفاتنة ليشاهدها الناس . . لقد خرجت المسكينة لتعلن عن نفسها . . فامتهنت نفسها وأوقفتها في مواقف الحرج وفي مواضع العطب !!

كما أعلم أيضاً أن كثيرات من واضعات المكياج . . ومن متعودات الأصباغ قد رأين فسرن في الدرب تحت اسم الحضارة أو التمدن .

ولهذه ولأمثالها أقول : إن التحضر الحقيقي . . والتمدن المتقـدم : هو مـا ليس فيه مخالفة لشرع الله . .

فالحق سبحانه وتعالى يعلم أين يكون عباده ؟ وبماذا يكون صلاحهم ؟ وما يتسبب في افسادهم ؟

فالكياسة أن نأخذ من التحضر ما نتقدم به على الأمم ، أو ما يساعدنا على حياة أفضل ، أو ما نغير به نظام معايشنا بحيث لا يكون على حساب منهج الله وشرعه . .

والفطانة : اعمال العقل والفكر في الأشياء . . فننظر اليها بعين الحقيقة فلا نتركها كلها ولا نأخذها كلها . . فكل شيء في الوجود منه الصحيح ومنه المعوج . . والسيد من جنح إلى الحق . . ونبذ الباطل جانباً . .

ربما تقول متسائلة : لكن قد أحل الاسلام الزينة للمرأة أمام زوجها ؟ . . أقول نعم . . زينة انسانية بعيدة عن التزييف . . ولكن أن طلب الزوج أن تضع الزوجة أصباغاً أو خلافها . . فلا حرج عليها بشرط ألا يراها الآخرون . .

ونصيحة إلى الفتيات اللاتي يرغبن في الزواج فيضعن الأصباغ والدهانات ويتطيبن بمختلف الروائح كي يكن موضع النظر . .

أقول لهن : إن عصرنا هو عصر العلم . . والانسان فيه غير انسان الأمس . . فهو اليوم يعلم المنطق في كل شيء ويدركه . . فتعامله مع المادة . . وادراكه حقيقة الأشياء إدراكاً مادياً ، جعله يحمل في نفسه الحق الذي عرفه . . وإلى جانبه تظهر رغبته في الحياة الحديثة التي لا يؤمن بكثير منها . . ولكنه يسايرها رغبة في الترف والمتعة . . ونزوعاً إلى إخراج النفس من النكد والحزن بسبب مشكلات الحياة وعقباتها . .

فانظري إلى انسان جاء ليشاهد راقصة تهز بطنها . . وتتمايل بجسدها . . فيصفق طرباً . . ويهتز فرحاً . . فاذا جاء إلى نفسه ووضعها موضع الحق لعنها أشد اللعنات . .

فشباب اليوم . . ربما سار وراء فتاة متبرجة . . متهتكة . . ولكنه يرى في نفسه أنها لا تستحق الزواج منه . . يتعلق بهذه المؤدبة المحتشمة . . فإن لم

يجد فلينظر إلى أقلهن تبرجاً . . وأكثرهن التزاما وعندم [illegible]
غازلها . . فقد قصد بذلك الترفيه والفرح .

فأنت إذا التزمت وابتعدت عن هذه الأصباغ . . وضعت نفسك في موضع كريم . . موضع الاحترام والتقدير . . لن يتقدم إليك إلا رجل محترم مثلك . . أليس الطيبون للطيبات ؟ . .

وصل الشعر :

• وصل الشعر هو ما يسمى في عصرنا (الباروكة) :

وقد تحدثت عنه بإفاضة في (فقه المرأة) ولكن يتحتم علينا هنا أن نعيد بحثه . .

ـ فقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت :

(يا رسول الله : إن لي ابنه (عريساً) أصابتها حصبة فتمزق شعرها أفأصله ؟ فقال : لعن الله الواصلة والمستوصلة[1] .

وقولها « عريساً » تصغير عروس ، و (تمزق) بمعنى يتساقط و(الواصلة) : من تصل شعر المرأة بآخر و (المستوصلة) : من تطلب وصل شعرها ، والحديث صريح في تحريم الوصل ، ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقاً على الظاهر والمختار . .

وقد فصل الفقهاء هذه المسألة :

فقال الحنفيون ومالك وكثيرون : الوصل ممنوع سواء وصلته بشعر أو صوف أو خرق لقول جابر : « زجر النبي ﷺ أن تصل المرأة برأسها شيئاً »[2] .

---

(١) أخرجه الشيخان والنسائي . .
(٢) اخرجه مسلم

وقال الشافعية : إن وصلت شعرها بشعر آدمي فهو حرام اتفاقاً لعموم الأحاديث ، ولأنه يحرم الانتفاع بشعر آدمي احتراماً وإكراماً ، وكذا إن وصلته بشعر نجس من غير آدمي وهو شعر الميتة ، وشعر ما لا يؤكل لحمه إذا انفصل في حياته للحديث ولأنه حمل نجاسة عمداً .

وإن وصلته بشعر طاهر من غير الآدمي ولم يكن لها زوج فهو حرام أيضاً ، وإن كانت ذات زوج ففيه ثلاثة أوجه : أصحها : إن فعلته بإذن الزوج جاز وإلا فهو حرام لما تقدم . ولحديث حميد بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع معاوية عام حج وهو على المنبر قد تناول قصة من شعر كانت في يد حرس (شرطي) يقول : يا أهل المدينة : أين علماؤكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ينهي عن مثل هذه ويقول : « إنما هلكت بنو اسرائيل حين اتخذها نساؤهم » أ. هـ[1] .

وقال أحمد والليث : الوصل الحرام مختص بوصل الشعر بالشعر لما فيه من التدليس واستعمال المختلف في نجاسته . وغيره لا يحرم لما فيه من تحسين المرأة لزوجها من غير مضرة ولا مخالفة . . أما ربط خيوط الحرير الملونة وغيرها مما لا يشبه الشعر فليس بمنهى عنه اتفاقاً لأنه ليس بوصص وانما هو للتجميل والتحسين[2] .

فإذا غطى الشعر كما أمر الله . . فلا تحتاج المرأة للوصل . . فان كان شعرها خشناً وتريد اظهاره بمظهر حسن أمام زوجها . . فعليها أن تعتني به (تغسله وتدهنه وتصففه) ولا بأس من وضع ما يزينه ويحسنه من غير الشعر . . وذلك أمام الزوج فقط . .

قص الشعر :

- عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

« لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات

---

(١) أخرجه الجماعة .

(٢) (فقه المرأة المسلمة) للمؤلف ط م القرآن الطبعة الأولى - ٧٣ .

للحسن المغيرات خلق الله » أ . هـ[1] .

ـ والنمص هو إزالة شعر الحاجبين . . وهو حرام باتفاق العلماء . .

ـ ولا حرج على المرأة أن تأخذ الشعرة الخارجة عن خط حاجبيها . . أما أن تأخذه من أصله فهو حرام كما تقدم . .

ـ ولا عجب أن يكون شعر الحاجب من جمال المرأة . . وأن يكون الأخذ منه من دواعي بغضها . .

فالنفوس تختلف فمن الناس من يحب شيئاً يبغضه الآخر . والمطيعة لربها المحافظة على دينها . . ربما تركت حاجبيها . . فجملت في نظر زوجها أو خطيبها . . وكان ذلك أفضل عند الله فبالتقوى يأتي الفرج دائماً . . والوفاق والود . .

أما الشعر الذي يكون في الوجه . . فعليها أن تزيله . . لأن الأصل فيه أن يكون بلا شعر وقد ناقشت هذا الأمر في فقه المرأة فلترجع اليه من تشاء[2] .

طيب المرأة :

ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :

« إن طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه » أ . هـ[3] .

قال الترمذي بعد أن ذكر للحديث طريقاً أخرى عن أبي نضرة عن الطفاوى عن أبي هريرة : إلا أن الطفاوي لا نعرفه إلا في هذا الحديث ، ولا يعرف اسمه .

وأخرجه أيضاً من طريق ثالثة عن عمران بن حصين بلفظ : « إن خير طيب

---

(١) أخرجه السبعة .
(٢) الطبعة الأولى [٧٥ : ٧٦] ط م القرآن .
(٣) رواه النسائي والترمذي وقال : حديث حسن .

الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وخير طيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه » وقال هذا حديث حسن غريب .

وعلق الشوكاني في نيل الأوطار قائلاً : « والحديث يدل على أنه ينبغي للرجال أن يتطيبوا بما له ريح ، ولا يظهر له لون كالمسك والعنبر والعطر والعود ، وأنه يكره لهم التطيب بما له لون كالزباد والعبير ونحوه ، وأن النساء بالعكس من ذلك ، وقد ورد تسمية المرأة التي تمر بالمجالس ولها طيب له ريح زانية ، كما أخرج الترمذي وصححه أبو داود والنسائي من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « كل عين زانية ، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجالس فهي كذا وكذا : يعني زانية » أ . هـ[1] .

ولا أظن وجود طيب بلون بلا رائحة في زماننا . .

وقلما نجد من النساء من لا تستعمل الطيب في زماننا . .

والطيب من الزينة المحرمة مثله كمثل الثوب أرّيد به الشهرة والخيلاء . . ولا حرج أن تتطيب لزوجها مع مراعاة ألا يشمه غيره .

والعاقلة تحافظ على نفسها من الاهانة وكثرة الكلام عنها . . وهي بوضعها هذه الروائح تلفت أنظار الجياع اليها . . وتضع نفسها في مواضع الشبهة . .

أليس من الأفضل أن يشم هذه الروائح الزوج فقط ؟ ! . .

عورة المرأة :

في الحديث : « لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة » أ . هـ[2] .

فعورة المرأة أمام الأجانب جسدها كله عدا الوجه والكفين . . وأمام النساء

---

(١) نيل الأوطار (١/١٩٧) ط الكليات الأزهرية .

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي ومسلم عن أبي سعيد الخدري .

ما بين السرة والركبة وليس لها أن تبدي اليـدين والقدمين للأجانب عند بعض العلماء . .

أما ستر العورة في الصلاة فهي شرط لصحتها . . وأما ستر اليدين والقدمين فلا يجب باتفاق المسلمين بل يجوز ابداؤهما في الصلاة عند جمهور العلماء . . .

وهناك من يرى تغطية المرأة يديها في الصلاة . . وهو بعيد جداً . . فاليدان تجسـدان كما يسجـد الـوجـه . . والنسـاء في عهـد النبي ﷺ إنما كـان لهن قميص ، وكن يصنعن الصنائع والقميص عليهن . فتبدي المرأة يديها إذا عجنت وطحنت وخبزت ، ولو كان ستر اليدين في الصلاة واجباً لبينه النبي صلى الله عليه وسلم .

وكذلك القدمان : وإنما أمر بالخمار فقط مع القميص ، فكن يصلين بقميصهن وخمرهن : وأما الثوب الذي كانت المرأة ترخيه وسألت عن ذلك النبي ﷺ فقال « شبراً » فقلن : « اذن تبدو سوقهن » ، فقال « ذراع لا يزدن عليه » أ . هـ[1] فهذا كان إذا خرجن من البيوت ، ولهذا سئل عن المرأة تجر ذيلها على المكان القذر فقال : يطهره ما بعده . .

وأما في نفس البيت فلم تكن تلبس ذلك كما أن الخفاف اتخذتها النساء بعد ذلك لتستر السوق إذا خرجن ، وهن لا يلبسنها في البيوت ، ولهذا قلن : اذن تبدو سوقهن . . فكان المقصود تغطية الساق . . لأن الثوب إذا كان فوق الكعبين بدا الساق عند المشي .

فالمرأة تعرف العرف جيداً . . وتعلم متى تجب تغطيتها . .

ولكنها تتنازل أحياناً ناسية أو متناسية . . وربما رغبة في المودة واظهار القرب والعائلية عند زائريها . .

---

(١) رواه الجماعة عن ابن عمر والترمذي والنسائي بلفظ ، وعند أحمد بلفظ آخر . .

ولو أمعنت النظر لوجدت ستر العورة ضرورة ملحة لحفظ الكرامة والبعد عن الامتهان . . فالناس يتفاوتون فمنهم الدنيء الطبع ، ومنهم سليم الطباع . . ومنهم الحسن ، ومنهم القبيح . . وهي بكشفها عن أطرافها أمام الرجال في منزلها تتيح الفرص لكثيري التشدق بأسرار الناس وأصحاب الغيبة النابعة من الحقد والحسد أحياناً . . أن يتكلموا في حقها ويصفوها بما لا تحب أن يقال عنها ولا تخلو امرأة من عيب جسدي . . لأن الكمال لا يناسب الصنف البشري . .

فان كان من الواجب ستر العورة أمام الأجانب في المنزل . . فالمنطق يحتم أن يكون الالتزام خارجه . .

فربما كان من في المنزل أشد حياء . . وأقوى كرامة . . لكونه في منزلها . . فالمعرفة تضبط العلاقات بين الناس وتقويها . . فيستحون . .

ومع هذا ـ فالكوارث دائما تحدث من زوار البيوت . . ومن المترددين عليها . . لاعجابه مرة ولتفكيره ثانية . . وهكذا يعطي لنفسه حقاً لا يمتلكه .

فالمسلمة المحافظة لا تظهر إلا على من عرفوا بحسن الطوية . . وعليها أن تتجنب شرار الخلق ما استطاعت . .

والمسلم العاقل دائماً يجنب بيته ونفسه شرار الناس . . ويحافظ على بيته ويحكمه وبهذا يصل البيت إلى بر الأمان إن شاء الله . .

لباس المرأة :

إن كان خارج المنزل ـ فالواجب كما ذكرنا ـ أن تحتشم المرأة . . فاحتشامها فرض عليها . . وتبرجها يجعلها عاصية ويضع على عاتقها وزراً يوم القيامة . .

قال تعالى مبيناً لباس المرأة :

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من

جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفوراً رحيماً[1] ﴾ . .

﴿ ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ [2] . .

وعن غطاء الرأس قال :

﴿ وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن ﴾ [3] . .

وقال :

﴿ ولا تبرجن تبرج الجاهلية ﴾ [4] . .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رءوسهن أمثال البخت المائلة لا يرين الجنة ، ولا يجدن ريحها ، ورجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس » أ . هـ[5] .

وفي الحديث وعيد شديد . . لأنه أتى بريح الجنة . . والمعروف أن ريحها يوجد من خمسمائة عام . . والمرأة تعرف ذلك جيداً . . وقد أكثر العلماء والكتاب والمفكرون من دراساتهم حول التبرج ولباس المرأة . . وأظنها تعيه تمام الوعي . .

ولكن تطمس على قلبها الحضارة الزائفة . . الأوروبية الزاحفة . . والتمدن الهابط . . فهي ترى أن لباسها المعهود لا شيء فيه . .

فهبي أنه لا شيء فيه . . ولكن هنا دستور فيصل بين الناس فلنرجع اليه . . فان قرر ذلك رجعنا معاً إليه . . وإن قرر غير ذلك اتبعناه . .

---

(١) الأحزاب : ٥٩ .
(٢) النور : ٣١ .
(٣) النور : ٣١ .
(٤) الأحزاب : ٣٣ .
(٥) رواه أحمد ومسلم .

أليس الله عليماً بخلقه ؟ . . يعلم صلاح حالهم . . كيف يكون ؟ . .
أليس الله هو الناهي والآمر ؟ . . أليس ما سقناه من كتابه جل شأنه ؟ !

وتعترض بعض من يرين الحجاب مشكلة . . بالقيل والقال . .

والمفروض أن الانسان في حياته صاحب مبدأ . . يؤمن به بعد اقتناع ودراسة . . فيطبقه ويترك كل شيء في سبيله . . هكذا قال اصحاب الباطل من الشيوعيين والزنادقة والملاحدة والقبوريين . . أما أصحاب الحق . . فهم أقوى منهم تحملا وصبراً على المبدأ . . لعلمهم أنه الحق . .

والمريدة للحجاب تضعه وتبتعد عن التبرج المغضوب عليه بإرادة قوية . . وتتجه إلى حيث أمر الله رب العالمين . . وهي بذلك تعلن عن تحمل ما يقوله المغرضون عنها . . بشجاعة وإقدام . . ولا بد أن تنهال عليها كلمات الضعاف .

والحمد لله . . لقد أحس قومنا بالحق وعرفوا فضله أخيراً كما ألمسه بينهم . . فعادوا ينزلون المحجبات المسلمات القانتات منزلتهن . .

ومشكلة أخرى تعترض طريق من يلتزمن الحجاب . . ألا وهي هؤلاء المحجبات اللائي يسئن اليه ويلطخن وجهته الطاهرة النظيفة .

أسألها . . أن تمعن النظر في جماعة ما : الحدادين . . التجار . . الجامعيين . . المدرسين . مدرسي المادة الواحدة . . الخ . . ستجد أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس متفاوتين في كل شيء . . فمنهم الحسن ومنهم غير ذلك . .

فربما اقتنعت فتاة بالحجاب لكونه شيئاً طيباً أمر الله به ونهى عن غيره . . وهي لا تستطيع سلوك مسلك الملتزمين . . فهذه ندعو لها أن يرزقها الله ايماناً يدفعها إلى الخير . .

وأخرى رزقت الخير .. ولكن فوجئت بمشكلة ما .. فتغير حالها .. وتلاعب الشيطان بها .. فحادت عن الطريق السوي .. ندعوها أيضاً أن تطارد ألاعيب النفس والشيطان وأن تلزم نفسها حدود الله ..

وثالثة : رأت جيرانها أو صديقاتها يلبسن فلبست مثلهن .. ولم تصل إلى الجوهر .. ندعوها أيضاً أن تتعلم شيئاً فشيئاً حتى نستطيع أن نرى فيها مثل المحجبة المؤمنة ..

هل أساء هؤلاء إلى الحجاب .. كلا وألف كلا .. إن الحجاب أمر الله للنساء وعليهن أن يلتزمن به كما أراد هو .. فإذا كان الناس لا يستطيعون أن ينفذوا أمر الله كما قضى وشرع .. فإني أنا ـ المسلمة المؤمنة ـ سأكون أشد ايماناً وأحسن حالاً من هؤلاء اللائي لم يحسن الالتزام ..

إن عدم التزام جماعة من المحجبات لا يمنع غيرهن من ارتدائه بحال .. بل يشجعهن على الالتزام والرجوع إلى الحق .. ويدفعهن إلى الطريق السوي ..

ولا يخفى عليك .. أن مظهر الجمال في كل شيء .. دائماً ما يتستر وراءه المحتالون الغشاشون ، فقديماً .. تستر التجار الغشاشون بزي الصالحين .. وتستر المحتالون بزي العباد لئلا تكشف حيلهم ..

وإن الحجاب شيء طيب .. ومظهر من مظاهر العفة والكرامة .. والشرف والأناقة .. والطهر واللباقة .. ولذا تتستر وراءه بعض من عجزن عن ادراك الحق لعلهن ينلن شيئاً من هذا الشرف وسط الناس ..

المحارم :

قال تعالى :

﴿ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت

أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ﴾ أ . هـ[1] .

ونتابع قوله : ﴿ **أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال** » . . قال فيه أبو بكر الجصاص :

« روي عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أنهم قالوا : الذي يتبعك ليصيب من طعامك ولا حاجة له في النساء » . .

وقال عكرمة هو العنين ، وقال مجاهد وطاوس وعطاء والحسن هو الأبله وقال بعضهم هو الأحمق الذي لا أرب له في النساء .

وروى الزهري عن عروة عن عائشة قالت : كان يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث فكانوا يعدونه من غير اولى الإربة، قالت فدخل رسول الله ﷺ ذات يوم وهو ينعت امرأة فقال : لا أدري هذا يعلم ما ههنا لا يدخلن عليكم فحجبوه » أ. هـ.

وروى هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها مخنث فأقبل على أخي أم سلمة فقال : يا عبد الله: لو فتح الله لكم غداً الطائف دللتك على ابنة غيلان ، فانها تقبل بأربع ، وتدبر بثمان ، فقال : لا أرى هذا يعرف ما ههنا لا يدخل عليكم » أ . هـ .

فأباح النبي ﷺ دخول المخنث عليهن حين ظن به أنه من غير أولي الاربة ، فلما علم أنه يعرف أحوال النساء وأوصافهن علم أنه من أولي الإربة فحجبه .

وقوله تعالى : ﴿ **أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء** ﴾ . .

قال مجاهد : هم الذين لا يدرون ما هن من الصغر . . وقال قتادة : الذين لم يبلغوا الحلم منكم » أ . هـ ثم قال أبو بكر الجصاص :

« قول مجاهد أظهر لأن معنى أنهم لم يظهروا على عورات النساء أنهم لا

---

(١) النور : ٣١ .

يميزون بين عورات النساء وأمرهم بالاستئذان في الأوقات الثلاثة بقوله : **﴿ ليستأذن الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ﴾** وأراد به الذي عرف ذلك واطلع على عورات النساء ، والذي لا يؤمر بالإستئذان أصغر من ذلك . . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال :

« مروهم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » أ . هـ .

فلم يؤمر بالتفرقة قبل العشر ، وأمر بها في العشر لأنه قد عرف ذلك في الأكثر الأعم ولا يعرف قبل ذلك في الأغلب » أ. هـ[1] .

ولا ننسى هذه الجرائم التي قد تحدث . . وقد حدثت بالفعل من بعض المحارم لايذاء المرأة فان هناك نوعاً من البشر يعظم فيه الشر حتى ينقلب صاحبه إلى وحش لا يدري الرحمة ، ولا يعرف المروءة ، ولا يلمس الانسانية . .

فلتحذري من أصحاب السوء إن وجدوا ضمن محارمك . . ولتكن الأخلاق عندك ميزان الحكم على الناس . .

صوت المرأة :

قال ابن عمر رضي الله عنهما : « ليس على النساء أذان ولا اقامة »[2] . .

وقال الشافعي واسحاق : « إن أذن وأقمن فلا بأس » . .

وروي عن أحمد : إن فعلن فلا بأس ، وإن لم يفعلن فجائز . . وعن عائشة : « أنها كانت تؤذن وتقيم وتؤم النساء ، وتقف وسطهن »[3] .

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أنه لا يجوز للمرأة أن تؤذن ولا يصح أذانها

---

(١) أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص (٣١٨/٣) ط دار الكتاب العربي بيروت .

(٢) رواه البيهقي بسند صحيح وإلى هذا ذهب أنس والحسن وابن سيرين والنخعي والثوري ومالك وأبو ثور .

(٣) رواه البيهقي

كذلك لا تصح إقامتها للصلاة إن وجد ذكر بالغ، وإن لم يوجد فإقامتها مندوبة أي مستحبة، وقول عائشة .. لأنه لم يكن هناك ذكر بالغ فأقامت وأمت ..

هذا لأذانها وإقامتها وإمامتها .. وهناك مسألة تتعلق بصوتها وهي (تنبيه الإمام) ..

ـ فعن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال : « من نابه شيء في صلاته فليسبح فإنما التصفيق للنساء » أ. هـ[1] .

فقوله ﷺ « فإنما التصفيق للنساء » هو بالقاف ... وفي رواية لأبي داود : « فإنما التصفيح ، قال زين العراقي : والمشهور أن معناهما واحد ، قال عقبة : والتصفيح والتصفيق بمعنى واحد ، وهو الضرب بإحدى صفحتي الكف على الأخرى » .

قال العراقي : وما ادعاه من نفي الخلاف ليس بجيد بل فيه قولان آخران أنهما مختلفا المعنى : أحدهما أن التصفيح : الضرب بظاهر احداهما على الأخرى ، والتصفيق : الضرب بباطن إحداهما على باطن الأخرى ، حكاه صاحب الإكمال وصاحب المفهم .

والقول الثاني أن التصفيح : الضرب بإصبعين للإنذار والتنبيه وبالقاف بالجميع للهو واللعب ..

وروى أبو داود في سننه عن عيسى بن أيوب أن التصفيح : الضرب بإصبعين من اليمين على باطن الكف اليسرى .

والحديث يدل على جواز التسبيح للرجال والتصفيق للنساء إذا ناب أمر من الأمور ، وهو يرد على ما ذهب اليه مالك في المشهور عنه من أن المشروع في حق الجميع التسبيح دون التصفيق وعلى ما ذهب اليه أبو حنيفة من فساد صلاة المرأة إذا صفقت في صلاتها ، وقد اختلف في حكم التسبيح والتصفيق على

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وهو طويل وهذا طرف منه .

الوجوب ، أو الندب ، أو الاباحة ، فذهب جماعة من الشافعية إلى أنه سنة منهم الخطابي وتقي الدين السبكي والرافعي ، وحكاه عن أصحاب الشافعي » أ . هـ[1] .

أما صوتها في الصلاة فقد اختلف العلماء في حد الجهر والإسرار للمرأة وبأيها نأخذ :

قالت المالكية :

أما المرأة فجهرها مرتبة واحدة وهو اسماع نفسها فقط ، وسرها هو حركة لسانها على المعتمد . .

قالت الشافعية :

أقل الجهر أن يسمع من يليه ولو واحداً لا فرق بين أن يكون رجلا أو امرأة إلا أن المرأة لا تجهر إذا كانت بحضرة أجنبي ، وأقل الإسرار أن يسمع نفسه فقط حيث لا مانع .

قالت الحنابلة :

أما المرأة فإنه لا يسن لها الجهر ، ولكن لا بأس بجهرها إذا لم يسمعها أجنبي ، فإن سمعها أجنبي منعت من الجهر .

وقالت الحنفية :

أقل الجهر اسماع غيره ممن ليس بقربه كأهل الصف الأول فلو سمع رجل أو رجلان فقط لا يجزىء ، وأعلاه لا حد له ، وأقل المخافتة إسماع نفسه أو من بقربه من رجل أو رجلين ، أما حركة اللسان مع تصحيح الحروف فانه لا يجزىء على الأصح .

---

(١) نيل الأوطار (٢/٢١٩) .

وعن قوله تعالى : ﴿ **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض** ﴾[1] .

يقول أبو بكر الجصاص في كتابه « أحكام القرآن » : (قيل فيه أن لا تلين القولَ للرجال على وجه يوجب الطمع فيهن من أهل الريبة ويستدل به على رغبتهن فيهم ، والدلالة على أن الأحسن بالمرأة أن لا ترفع صوتها بحيث يسمعها الرجال ، وفيه الدلالة على أن المرأة منهية عن الأذان وكذلك قال أصحابنا . . وقال الله تعالى في آية أخرى ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ﴾ . . فإذا كانت منهية عن إسماع صوت خلخالها فكلامها إذا كانت شابة تخشى من قبلها الفتنة أولى بالنهي عنه) أ . هـ[2] .

خلاصة :

وخلاصة المسألة . . أن صوت المرأة ليس بعورة . . ذلك أن نساء النبي ﷺ كن يحدثن الصحابة وكانوا يستمعون إليهن في أحكام الدين . .

ـ وقد استمع أمير المؤمنين لامرأة قاطعته في المسجد . . فلو كان صوتها عورة لاعترضها أمير المؤمنين . .

أما إذا حاولت المرأة ترخيمه وترفيعه فهو عورة . . وإذا كان الصوت بطبيعته ملفتا للنظر لحلاوته ولطافته . . وخيف منه الفتنة فيحرم سماعها . .

والنساء يعلمن جيداً أصواتهن . . ويعلمن الصوت الجذاب من غيره . . فليتقين الله في هذا الشيء غير المقصود دائماً وليحافظن على أصواتهن ابتغاء لرضا الرحمن . . وعملاً بالإسلام .

---

(١) الأحزاب : ٣٢ .
(٢) أحكام القرآن (٣/٣٥٩) ط دار الكتاب العربي .

غناء المرأة :

قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين ﴾[1] .

فبالسند المتصل إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قول الله عز وجل : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ﴾ قال : هو والله الغناء . .

وبسند متصل اليه ، وبسند متصل إلى عكرمة عنه قال : هو الغناء ، وبسند آخر إلى عكرمة عنه قال : هو الغناء ، وكذلك قال : الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وابراهيم النخعي - وعن ابن عمر رضي الله عنهما - أنه سمع صوت زمارة راع فوضع إصبعيه في أذنيه وعدل راحلته إلى الطريق ، وقال : رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راع فصنع مثل هذا » أ . هـ .

وبسند إلى أبي أمامة قال : نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنيات وعن التجارة بهن ، وعن تعليمهن الغناء . وقال : ثمنهن حرام أو شبهه وقال في هذا ونحوه نزلت :

﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين ﴾[2] .

وقال : ما من رجل يرفع عقيرة صوته للغناء إلا بعث الله عز وجل اليه ملكان هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب فلا يزالان يضربان بأرجلهما في صدره حتى يكون هو الذي يسكت .

وبسند آخر إلى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي كرم الله وجهه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : بعثت بكسر المزامير .

---

(١) لقمان : ٦ .

(٢) لقمان : ٦ .

وبسند آخر إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وإذا اتخذ الفيء دولاً ، والأمانة مغنماً ، والزكاة مغرماً وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته ، وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وظهرت القيان والمعازف ، وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع مسلكه فتتابع بعضه بعضاً » أ . هـ[1] .

جاء في إغاثة اللهفان :

« أما مالك فإنه نهى عن الغناء ، وعن استماعه ، وقال : إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردها بالعيب .

وسئل مالك رحمه الله : عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء ؟ فقال : إنما يفعله عندنا الفساق .

وروي عن أبي حنيفة أنه كان يكره الغناء ، ويجعله من الذنوب .

وكذلك مذهب أهل الكوفة : سفيان وحماد ، وابراهيم ، والشعبي ، وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك ولا نعلم خلافاً أيضاً بين أهل البصرة في المنع منه .

قلت : مذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب ، وقوله فيه أغلظ الأقوال .

وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها كالمزمار ، والدف ، حتى الضرب بالقضيب ، وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق وترد به الشهادة ، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا : أن السماع فسق ، والتلذذ به كفر . هـذا لفظهم ، ورووا في ذلك حديثا لا يصح رفعه . .

---

(١) أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن .

قالوا : ويجب عليه أن يجتهد في أن لا يسمعه إذا مر به أو كان في جواره . .

وقال أبو يوسف في دار يسمع منها صوت المعازف والملاهي : أدخل عليهم بغير إذنهم ، لأن النهي عن المنكر فرض فلو لم يجز الدخول بغير إذن لامتنع الناس من إقامة الفرض .

قالوا : ويتقدم اليه من بالإمارة إذا سمع ذلك من داره ، فان أصر حبسه أو ضربه سياطاً وإن شاء ازعجه عن داره .

وأما الشافعي : فقال في كتاب « أدب القضاء » أما الغناء فهو مكروه ، يشبه الباطل والمحال . ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته .

وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه ، وأنكروا على من نسب اليه حله كالقاضي أبي الطيب الطبري ، والشيخ أبي إسحاق وابن الصباغ .

قال الشيخ أبو اسحاق في التنبيه : ولا تصح : يعني الاجارة ، على منفعة محرمة كالغناء والزمر وحمل الخمر ، ولم يذكر فيه خلافاً .

وقال في المهذب : ولا يجوز على المنافع المحرمة ، لأنه محرم ، فلا يجوز أخذ العوض عنه كالميتة والدم[1] .

ذلك كله . . لأن طباع الآدميين تتفاوت ولا تكاد تتفق ، فإذا أدعى صاحب القلب السليم والبدن الصحيح والمزاج أن رؤية المستحسنات لا تزعجه ولا تؤثر عنده ، ولا تضره في دينه كذبناه في ادعاء عدم الخروج عن حيز الاعتدال . فإن تعلل فقال : انما أنظر إلى هذه المستحسنة معتبراً ، فالعجب من حسن الصنعة في زجج الحاجبين ودعج العينين . ودق الأنف ، ونقاء البياض قلنا له في أنواع المباحات ما يكفي في العبرة .

وها هنا ميل من طبعك يشغلك عن الفكرة ، فلا تدعين لبلوغ شهوتك وجود فكرة فان ميل الطبع شاغل عن ذلك. وكذلك من قال : إن هذا الغناء

---

(١) اغاثة اللهفان ط الحلبي (٢٤٦/١) .

المطرب المثير للطباع المحرك لها إلى العشق وحب الدنيا لا يؤثر عندي ولا يلفت قلبي إلى حب الدنيا الموصوفة فيه فإنّا نكذبه لموضع اشتراك الطباع ، ثم لو كان قلبه مليئاً بالخوف من الله تعالى لنهاه عن الهوى ولاحضرها ما لا يمجه الطبع ، واقبح القبيح البهرجة ثم كيف تمر البهرجة على من يعلم السر واخفى ، ثم إن كان الأمر كما زعم هذا المتصوف فينبغي أن لا نبيحه إلا لمن هذه صفته . .

وما روى عن القوم بأنهم قد أباحوه على الاطلاق للشاب المبتدىء والصبي الجاهل فليس بصحيح على الإطلاق .

أما من قال إني لا أسمع الغناء للدنيا ، وانما آخذ منه إشارات فهو مخطىء من وجهين :

أحدهما :

إن الطبع يسبق إلى مقصوده قبل أخذ الإشارات فيكون كمن قال : إني لأنظر إلى المرأة المستحسنة لأتدبر في الصنعة .

والثاني :

إنه يقل أن يوجد فيه شيء يشار به إلى الخالق ، وقد جل الخالق أن يقال في حقه أنه يعشق الهيمان به فانما نصيبنا من معرفة الهيبة والتعظيم فقط[1] .

وأظن أنه بهذا العرض استطعنا فهم تصور الاسلام للغناء والمغنيات . .

وأعلم أنه بعيد عن الأذهان هذا التقرير الاسلامي عن الغناء وآلاته . . فالحضارة الحديثة زينته في قلوب الناس ورفعت أهله وأكرمتهم خير الاكرام وعدته من المواهب النادرة الخلاقة . . فقارني بين ما ذكرناه عن صوت المرأة وقول العلماء فيه . . وبين كونها تقف امام الناس تشدو وتترنح . .

---

(١) مصايد الشيطان وذم الهوى لابن غانم المقدسي تحقيق المؤلف ط م القرآن (٣٤) .

وأهمس إلى آذان المعجبات بأصواتهن أن يتقين الله . . ولا يجرين وراء السراب الكاذب فان غياب الحق يوماً ليس مبرراً لاختفائه . . فلا بد من ظهوره في يوم آخر . . وقد خاب قومنا وضاعت دنياهم وآخرتهم عندما اتبعوا الهوى والسكر فناموا على الخليعة . . ورددوا البذيئة من الكلمات . . حتى ضلوا وأضلوا . . وختاماً في غناء المرأة . . أعرف أن الاقتناع بشيء فرض عليها صعب . . ولكن هذا هو الحق . .

زكاة الحلى :

ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « أن امرأتين أتتا رسول الله ﷺ وفي أيديهما سواران من ذهب فقال لهما : أتعطيان زكاة هذا ؟ قالا : لا ، قال : ليسركما أن يسور كما الله تعالى بهما يوم القيامة سوارين من نار » أ . هـ[1] .

ـ وعن عائشة : أنها دخلت على رسول الله ﷺ فرأى في يدها فتخات من ورق ، فقال : ما هذا يا عائشة ؟ فقالت : صنعتهن وأتزين لك بهن يا رسول الله . فقال : أتؤدين زكاتهن ؟ قالت : لا ، قال : هن حسبك من النار » أ . هـ[2] .

وقد استدل جماعة من العلماء بهذين الحديثين وبغيرهما على وجوب اخراج الزكاة .

يقول العلامة ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » :

« وأما الحلى فإن كان للنساء فلا زكاة فيه عند مالك ، والليث والشافعي ، وأحمد وأبي عبيد ، وروي ذلك عن عائشة ، وأسماء وابن عمر ، وأنس ، وجابر ـ رضي الله عنهم ـ وعن جماعة من التابعين ، وقيل : فيه الزكاة ، وهو مروي عن

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي . . قال الحافظ : اسناده قوي .
(٢) أخرجه البيهقي والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

عمر ، وابن مسعود ، وابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين ، وهو مذهب أبي حنيفة والثوري والأوزاعي » أ . هـ[1] .

وقد رجحت في « فقه المرأة المسلمة » رأى صاحب الفقه الواضح ونسرده هنا للبيان قال : « وقد أجابوا عن الأحاديث المصرحة بالوجوب بأن الحلى من الذهب والفضة كان محرماً على النساء في أول الاسلام ؛ لهذا وجبت فيه الزكاة ، ثم أبيح بعد ذلك فارتفع الوجوب ، أو أن الزكاة وجبت في الحلى الذي فيه سرف وتبذير » ثم ذكر منها :

١ ـ الحلى الذي تجب فيه الزكاة هو ما كان من الذهب والفضة لا من غيرهما من سائر الجواهر مهما ارتفع ثمنها وعظمت قيمتها .

٢ ـ المعتبر في نصاب الحلى هو الوزن وليس القيمة على الراجح من اقول الفقهاء ، فإذا بلغ عشرين مثقالاً زكي عنه وإلا فلا . .

٣ ـ لا فرق في الحلى أن يكون مملوكاً للمرأة أو مملوكاً لزوجها .

٤ ـ إن انكسر الحلى كسراً لا يمنع المرأة من لبسه وبلغ النصاب فهو كالصحيح وإن كان الكسر يمنعها من لبسه لم يعد حلياً بل يصير في حكم القطع المدخرة ، وحينئذ تجب فيه الزكاة بالإجماع إن بلغ نصاباً » أ . هـ[2] .

صوم الحائض والنفساء :

المرأة إذا حاضت أو نفست لا تصوم ولا تصلي . . ولكنها تقضي الصوم دون الصلاة . . فإذا حاضت المرأة أو نفست ولو قبل المغرب بلحظة فسد صومها ويجب عليها القضاء ويحرم عليها الاستمرار في الصوم ما دامت حائضاً أو نفساء .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٢٥) ط م ابن تيمية .
(٢) الفقه الواضح للشيخ محمد بكر اسماعيل (١٨/٥) وراجعي فقه المرأة (١٥٩) لتعرفي النصاب ومقدار الزكاة .

وإذا انقطع حيضها أو نفاسها ولو بلحظة وجب عليها أن تنوي الصوم ، ولو أخرت الغسل قليلاً .

افطار المرضع والحامل :

إذا خافت الحامل أو المرضع على نفسيهما ضرراً بيناً من الصوم مثل الضرر الناشيء للمريض من المرض أفطرتا وعليهما القضاء كالمريض ، وإن خافتا على ولديهما بسبب إسقاط الولد في الحامل وقلة اللبن في المرضع أفطرتا وعليهما القضاء للافطار . .

وفي الحديث : « إن الله وضع عن المسافر الصوم وقصر الصلاة وعن الحبلى والمرضع الصوم » أ . هـ[1] .

صيام المرأة بغير إذن زوجها :

يحرم على المرأة أن تصوم تطوعاً وزوجها حاضر إلا بإذنه لقوله صلى الله عليه وسلم :

« لا تصوم المرأة يوماً واحداً وزوجها شاهد إلا إذنه إلا رمضان » أ . هـ[2] . وأما إذا غاب فلها أن تصوم تطوعاً بغير اذنه .

لأن صيام المرأة وزوجها حاضر إهدار لإنسانيته ولحاجته من الحياة . . ولأن الإسلام دين قد عالج كل ما يحيط بالأسرة وسد فجوات الغضب والشغب التي قد تحدث بين الزوجين .

فإن الزوج قد يغضب لعدم قدرته على نيل مراده وهذا من حقه . . فيتسبب ذلك في كراهيته لزوجته . . فيسوء الحال بينهما مرة بعد مرة ...

---

(١) الحديث رواه الخمسة وحسنة الترمذي .

(٢) رواه أحمد والشيخان .

ولتعلم الأخت المسلمة أن إفطارها مع رغبتها في الصيام يعطيها ثواب الصيام فالأساس في المحاسبة النية الصادقة . . كذلك تكرار استئذانها من زوجها يجعله يحس بإيمانها فيميل بقلبه إلى حلاوة الإيمان ومتعته فيأذن لها على رضاء من نفسه واطمئنان في قلبه . . وتعلو في نظره يسود بينهما المودة والوئام . .

حج المرأة :

ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذي محرم ، فقام رجل ، فقال : يا رسول الله أن امرأتي خرجت حاجة ، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ، فقال : « انطلق فحج عن امرأتك » أ . هـ [1] .

وعن يحيى بن عباد قال : كتبت امرأة من أهل الري إلى ابراهيم النخعي : إني لم أحج حجة الاسلام ، وأنا موسرة ، ليس لي ذو محرم ، فكتب اليها : « انك ممن لم يجعل الله له سبيلاً » أ . هـ .

وإلى اشتراط هذا الشرط ، وجعله من جملة الاستطاعة ، ذهب أبو حنيفة وأصحابه ، والنخعي والحسن والثوري وأحمد وإسحاق .

قال الحافظ : والمشهور عند الشافعية اشتراط الزوج أو المحرم أو النسوة الثقات ، وفي قول : تكفي امرأة واحدة ثقة ، وفي قول ـ تسافر وحدها ، إذا كان الطريق آمناً . .

وهذا كله في الواجب من حج أو عمرة .

وفي « سبل السلام » : قال جماعة من الأئمة : « يجوز للعجوز السفر من غير محرم » .

وقد استدل المجيزون لسفر المرأة من غير محرم ولا زوج ـ إذا وجدت رفقة

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم .

مأمونة أو كان الطريق آمنا ـ بأن نساء النبي ﷺ حججن بعد أن أذن لهن عمر في آخر حجة حجها ، وبعث معهن عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف . واستدلوا بآثار أخرى .

كان عثمان ينادي : ألا يدنو أحد منهن ، ولا ينظر إليهن ، وهن في الهوادج على الأبل . وفي سبل السلام : قال ابن تيمية : « إنه يصح الحج من المرأة بغير محرم ، ومن غير المستطيع » .

وحاصله : أنه من لم يجب عليه الحج لعدم الاستطاعة ، مثل المريض ، والفقير ، والمعضوب ، والمقطوع طريقه ، والمرأة بغير محرم ، وغير ذلك ، إذا تكلفوا شهور المشاهد ، أجزاهم الحج .

ثم منهم من هو محسن في ذلك ، كالذي يحج ماشياً ، ومنهم من هو مسيء في ذلك ، كالذي يحج بالمسألة ، والمرأة تحج بغير محرم .

وانما أجزأهم ، لأن الأهلية تامة ، والمعصية إن وقعت في الطريق ، لا في نفس المقصود . . وفي المغنى : لو تجشم غير المستطيع المشقة ، وسار بغير زاد وراحلة فحج ، كان حجه صحيحاً مجزئاً » أ . هـ [1] .

حج المرأة بغير اذن زوجها :

ليس للرجل أن يمنع زوجته من الحجة المكتوبة . . فان لم يأذن لها خرجت بغير إذنـه . . لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . .

أما حج التطوع فله منعها منه . .

وذلك لما رواه الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ ـ في امرأة كان لها زوج ولها مال فلا يأذن لها في الحج ـ قال : « ليس لها أن تنطلق الا باذن زوجها » أ . هـ .

(١) بتصرف عن (فقه السنة) ط م المسلم (١/٥٣٧) .

طواف الحائض :

لا يمكن للمرأة الحائض بحال أن تطوف بالبيت وهي حائض . . وفي أحد قـولي العلماء : إذا طافت أجزأها الطواف وعليها دم : إما شـاة ، وإما بـدنة . .

وفي ذلك يقول ابن تيمية :

« ومنع الحائض من الطواف قد يعلل بأنه يشبه الصلاة ، وقد يعلل بأنها ممنوعة من المسجد كما تمنع منه بالاعتكاف ، وكما قال الله عز وجل لابراهيم عليه السلام : ﴿ **وطهر بيتي للطائفين والعاكفين والـركّع السجود** ﴾ . . فأمره بتطهيره لهذه العبادات . . فمنعت الحائض من دخوله . .

وقد اتفق العلماء على أنه لا يجب للطواف ما يجب للصلاة من تحريم وتحليل وقراءة ، وغير ذلك ، ولا يبطله ما يبطلها من الأكل والشرب والكلام . . وغير ذلك .

لهـذا كان مقتضى تعليل من منع الحائض لحرمة المسجد ، أنه لا يرى الطهارة شرطاً بل مقتضى قوله أنه لا يجوز لها ذلك عند الحاجة كما يجوز لها دخول المسجد عند الحاجة ، وقد أمر الله تعالى بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود . . والعاكف فيه لا يشترط له الطهارة ، ولا تجب عليه الطهارة من الحدث الأصغر باتفاق المسلمين . ولو اضطرت العاكفة الحائض إلى لبثها فيه للحاجة جاز ذلك ، وأما الـركّـع السجود فهم المصلون ، والطهارة شرط للصلاة باتفاق المسلمين ، والحائض لا تصلي لا قضـاءً ولا أداءً .

يبقى الطائف : هل يلحق بالعاكف ، أوبـالمصلي، أو يكون قسماً ثالثاً بينهما ؟ هذا على اجتهاده وقوله : « الطواف بالبيت صلاة » لم يثبت عن النبي ﷺ ، ولكن هو ثابت عن ابن عباس . .

وقد روي مرفوعاً ونقل بعض الفقهاء عن ابن عباس أنه قال : « إذا طاف

بالبيت وهو جنب فعليه دم » أ . هـ ولا ريب أن المراد بذلك أنه يشبه الصلاة من بعض الوجوه :

« إذا أتى احدكم المسجد فلا يشبك بين أصابه » أ . هـ . .

وقوله « إن العبد في صلاة ما كانت تحبسه ، وما دام ينتظر الصلاة ، وما كان يعمد إلى الصلاة ونحو ذلك . .

فلا يجوز للحائض أن تطوف الا طاهرة إذا أمكنها ذلك باتفاق العلماء ، ولو قدمت المرأة حائضاً لم تطف بالبيت ، لكن تقف بعرفة ، وتفعل سائر المناسك كلها مع الحيض إلا الطواف ، فانها تنتظر حتى تطهر إن أمكنها ذلك . ثم تطوف ، وإن اضطرت إلى الطواف فطافت أجزأها ذلك ، على الصحيح من قول العلماء . .

وقوف الحائض بعرفات :

يصح وقوف الحائض وغير الحائض بعرفات . . ويجوز (الوقوف) ماشياً وراكباً . .

وأما الأفضل فيختلف باختلاف الناس ، وإن كان ممن إذا ركب رآه الناس لحاجتهم اليه ، أو كان يشق عليه ترك الركوب ، وقف راكباً . فإن النبي ﷺ وقف راكباً .

مبيت المرأة بمزدلفة :

السنة أن يبيت الرجل بمزدلفة إلى أن يطلع الفجر ، فيصلي بها الفجر في أول الوقت ثم يقف بالمشعر الحرام إلى أن يسفر جداً قبل طلوع الشمس ، فإن كان من الضعفاء كالنساء والصبيان ونحوهم فإنه يتعجل من مزدلفة إلى منى إذا غاب القمر ، ولا ينبغي لأهل القوة أن يخرجوا من مزدلفة حتى يطلع الفجر ، فيصلون بها الفجر ، يقفون بها ، ومزدلفة كلها موقف لكن الوقوف عند قزح أفضل ، وهو جبل المعقدة ، وهو المكان الذي يقف فيه الناس اليوم ، وقد بني عليه بناء ، وهو المكان الذي يسميه كثير من الفقهاء باسم المشعر الحرام . .

حق المرأة في اشتراط عدم التزوج عليها :

كما أن الاسلام أباح التعدد وقيده بالقدرة على العدل وقصره على أربع . . فقد جعل من حق المرأة أو وليها أن يشترط ألا يتزوج الرجل عليها ، فلو شرطت الزوجة في عقد الزواج على زوجها ألا يتزوج عليها صح الشرط ولزم ، وكان لها حق فسخ الزواج إذا لم يف لها بالشرط ولا يسقط حقها في الفسخ إلا إذا اسقطه . ورضيت بمخالفته . .

وإلى هذا ذهب الامام أحمد ، ورجحه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم . .

إذ الشروط في الزواج أكبر خطراً منها في البيع والإجارة ونحوهما .

فلهذا يكون الوفاء بما التزم منها أوجب وآكد . .

واستدلوا لمذهبهم هذا بما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال :

« إن أحق الشروط أن توفوا ما استحللتم به الفروج » أ . هـ هكذا قال صاحب فقه السنة .

والمرأة التي تشرط على زوجها توجد جرحاً في بداية حياتها الزوجية . . فحسن المعاملة والمحبة الصادقة مانعة للرجل كل المنع أن يتزوج بغيرها . . فالنفس مليئة بالمتراكبات ومنها رد الضربات وأخذ الحق . . خاصة طبيعة الرجل الذي لا يتحمل الاساءة وقيد الحرية . . وقد بحثت في حالات متشابهة . . فوجدت أن أكثر الأزواج المشترط عليهم قد ضربوا بهذا الشرط عرض الحائط وتزوجوا رغبة في الكيد فقط . .

الكفاءة في الزواج :

تكلمت عن الكفاءة في « فقه المرأة المسلمة » فلترجع اليه من تشاء . .

ولكن تجدر الاشارة ها هنا إلى أن الفتـاة قد وجب عليهـا الجلوس مع من يريد خطبتها ومناقشته ومحاولة الوصول الى عمق تفكيره وبنيان ثقافته . .

فلقد أصبحنا في زمن أكثر العلماء فيه جهلاء . . وكثير من الجهلاء فيه علماء . .

فليست الثقافة بشهادة علمية . . أو بمنحة دراسية . . ولكنها بتفكير سليم ، واستقامة على المنهج . . فان رأت أنه لا يناسبها فمن حقها إعلان رأيها لوليها . .

وإن رأت أنه يناسبها ولكنه على سبيل المثال يحمل شهادة متوسطة وهي جامعية فلا حرج عليها أن تقبله ما دام ملتزماً مستقيماً . . هذا بالنسبة للناحية الثقافية والعلمية وهي أهم ما يمتلكه الفرد . .

أما بالنسبة للكفاءة في المال . . فلا اعتبار لها . . لأنه لا يدوم على حال . . فمن الناس ـ خاصة في عصرنا ـ من يكون فقيراً ـ فينقلب بعد سنوات غنياً ـ ومنهم من يكون غنياً ـ فيصبح فقيراً . .

وفي عصرنا تفتحت مصادر الأرزاق . . وطرق الكسب المشروع . . وأصبحت مسألة الغنى والفقر أو الحالة الاقتصادية متوقفة على اجتهاد العامل وذكائه . .

أما من ناحية الدين . . فهو كل شيء . . فالناس كما ذكرنا في أكثر من موضع متباينون وتراهم جماعات جماعات . . وربما تجالس اثنان :ملتزم وغير ملتزم فلا يلتقيان بحال . . وربما التقى غيرهما . . والمؤمن بطبيعته لا يحب إلا مؤمناً . . يكره الفسق بكل صوره . . ولا يرتـاح إلا لمن يشابهـه . . يرتـاح لأخيه المؤدي للصلاة ، المعطي الزكاة المحب للمساكين الفاعل للخيرات . . الخ . .

والحياة الزوجية أولى أن تكون فيها هذه الناحية المهمة في حياة الانسان . . لأنها كيانه ومقياسه . .

فكم من فاسق تزوج صالحة فعذبها أشد العذاب . .

وكم من صالح تزوج فاسقة فأذاقته كأس المرارة . .

فالطيبون للطيبات والمؤمنون للمؤمنات . . ولذا قال رسول الله ﷺ : « فاظفر بذات الدين تربت يداك » . .

ألنفقة دين في ذمة الزوج :

نفقة الزوجة واجبة على زوجها ، فان امتنع عن أدائها صارت ديناً في ذمته ، شأنها في هذا شأن الديون الثابتة التي لا تسقط الا بالأداء أو الإبراء . .

قال في فقه السنة :

« وإلى هذا ذهبت الشافعية ، وجرى عليه العمل منذ صدور قانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ . . فقد جاء فيه :

مادة ١ : تعتبر نفقة الزوجة التي سلمت نفسها لزوجها ولو حكماً ديناً في ذمته ، من وقت امتناع الزوج عن الانفاق مع وجوبه بلا توقف على قضاء قاض ، أو تراض بينهما ، ولا يسقط دينها الا بالأداء أو الإبراء . .

مادة ٢ : ألمطلقة التي تستحق النفقة تعتبر نفقتها ديناً ، كما جاء في المادة السابقة من تاريخ الطلاق . .

وقد جاء مع هذا القانون تعليمات من الجهة التي صدر عنها وهي :

١ ـ إن نفقة الزوجة ، أو المطلقة لا يشترط لاعتبارها ديناً في ذمة الزوج القضاء أو الرضا بل تعتبر ديناً من وقت امتناع الزوج عن الإنفاق مع وجوبه . .

٢ ـ إن دين النفقة من الديون الصحيحة ، وهي التي لا تسقط إلا بالأداء أو الإبراء ويترتب على هذين الحكمين . .

١ ـ إن للزوجة ، أو المطلقة أن تطلب الحكم بالنفقة على زوجها ، عن

مدة سابقة على الترافع ، ولو كانت أكثر من شهر ، إذا ادعت أن زوجها تركها من غير نفقة ، مع وجوب الإنفاق عليها في هذه المدة طالت أم قصرت .

ومتى أثبت ذلك بطريق من طرق الاثبات ، ولو كانت شهادة الاستكشاف المنصوص عليها في المادة ١٧٨ من اللائحة حكم لها بما طلبت . .

٢ ـ إن دين النفقة لا يسقط بموت أحد الزوجين ، ولا بالطلاق ـ ولو خلعاً ـ فللمطلقة مطلقاً الحق فيما تجمد لها من النفقة ، حال قيام النفقة ما لم يكن عوضاً لها عن الطلاق أو الخلع .

٣ ـ إن النشوز الطارىء لا يسقط متجمد النفقة ، وانما يمنع النشوز مطلقاً من وجوبها ما دامت الزوجة ، أو المعتمدة ناشزاً .

وبعد صدور هذا القانون استغلته بعض الزوجات ، في ترك المطالبة بالنفقة ، حتى يتجمع منها مبلغ باهظ ، ثم يطالبن الزوج بالمتجمد كله ، مما يرهق الزوج ويثقل كاهله . .

فرئـي تدارك هذا الأمر بما يرفع الضرر عن الأزواج . . وجاء في الفقرة ٦ من المائة ٩٩ من القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ بلائحة ترتيب المحاكم الشرعية ما نصه :

« لا تسمع دعوى النفقة عن مدة ماضية ، لأكثر من ثلاث سنين ميلادية ، نهايتها تاريخ رفع الدعوى » . .

وجاء في المذكرة الايضاحية لهذا القانون ، بشأن هذه الفقرة ما نصه . .

« أما النفقة عن المدة الماضية فقد رئـي ـ أخذاً بقاعدة تخصيص القضاء ـ ألا تسمع الدعوى بها لأكثر من ثلاث سنوات ميلادية ، نهايتها تاريخ قيد الدعوى . ولما كان في اطلاق اجازة المطالبة بالنفقة المتجمدة عن مدة سابقة على رفع الدعوى ـ احتمال المطالبة بنفقة سنين عديدة ترهق الشخص الملزم بها ،

رئـي من العدل دفع صاحب الحق في النفقة إلى المطالبة بها ، أولا ، فأولاً ، بحيث لا يتأخر أكثر من ثلاث سنوات ، وجعل ذلك عن طريق منع سماع الدعوى .

وليس في ذلك الحكم ضرر على صاحب الحق في النفقة ، إذ يمكنه المطالبة بها ، قبل مضي ثلاث سنوات .

نشوز الرجل :

تمر على الرجال أحياناً ظروف تجرف مزاجهم . . وتتعب نفوسهم . . فيصابون بشيء من النصب ينتج عنه سوء الفعل . . فينشز الرجل . .

« فإذا خافت المرأة نشوز زوجها وإعراضه عنها اما لمرضها أو لكبر سنها ، أو لدمامة وجهها فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما ، ولو كان في الصلح تنازل الزوجة عن بعض حقوقها ترضية لزوجها » أ . هـ كذا قال في فقه السنة . . فإنها يجب أن تقدر ما يحدث للرجل وهو يواجه مشاق الحياة وصعوبتها ويواجه الانسان صاحب الغرائز والشهوات والهوى . . ويواجه الطبيعة بما فيها من جبال وبحار وأنهار . . وسحاب . . وأمطار . . وبرق ورعد . . وكهرباء وماكينات . . الخ . .

وذلك لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً ، والصلح خير ﴾ [1] . .

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت في هذه الآية :

« هي المرأة تكون عند الرجل ، لا يستكثر منها ، فيريد طلاقها ، ويتزوج عليها تقول : أمسكني ، ولا تطلقني ، وتزوج غيري ، فأنت في حل من النفقة علي والقسمة لي » .

---

(١) النساء : ١٢٨ .

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها أن سودة بنت زمعة حين أسنت وفرقت (أي خافت) أن يفارقها رسول الله ﷺ قال :

« يا رسول الله ﷺ يومي لعائشة » . .

فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

قالت : في ذلك أنزل الله جل ثناؤه ، وفي أشباهها أراه قال :

﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً ﴾ . .

قال في المغني : ومتى صالحته على ترك شيء من قسمتها أو نفقتها ، أو على ذلك كله جاز . . فإن رجعت فلها ذلك .

ولكن . . ما أحلاها هذه الحياة الطيبة السعيدة الهنيئة التي تعطي المرأة فيها لزوجها الكلمة الطيبة فيرتاح لمقولتها . . ويطمئن قلبه لكلمتها . . فيسعد بوجودها وكلامها . . وإحساسها نحوه . ويتمنى أن يزداد عطاؤه لها . . فتزداد المودة بينهما . .

وما أجمله هذا الوقت البديع البعيد عن مشكلات الحياة حين يهدأ الزوج من غضبه بعد أكله مريئة أو ضحكات طيبة . . أو هواء منعش . . وبكلام طيب تحكى له عما اقترفه وتشعره أنه كان في وقت غضب . . وليست غاضبة لما بدر منه . . فهو زوجها ورجلها . . ولن يغضب ثانية وسيحاسب نفسه قبل أن يثور مرة أخرى . . ولسوف يعلن حزنه وتأسفه وحسرته على ما قدمه . .

إن الحياة عطاء متبادل . . والذين يأخذون فقط تعسوا في حياتهم . . ماتت قدراتهم على العطاء . . فماتت محبتهم في قلوب الناس فعاشوا بالكراهية والحقد عند الناس . .

وأصحاب العطاء أصحاب المنازل الرفيعة . . والدرجات السامية هم بلا منافس . . وإن قيل فيهم ما قيل من حاقد لا يستطيع أن يبلغ مبلغهم . . عجز

عن إلزام نفسه فسب الملتزمين . كما عصى إبليس . . فأراد أن يجعل من الناس عصاة مذنبين .

والحياة الزوجية بأيدي أصحابها . . بأيدي زوجين لو أعملا الفكر والعقل . . لحـولا حياتهما إلى جنة على الأرض ليفوزا بجنة الخلد إن شاء الله . .

وما الفاشلون الا شرذمة من البشر لم يستطيعوا ادراك مفاهيم الحياة . . وحقائقها وقوانينها . . فجعلوا لأنفسهم قانوناً يتقاضون به ، ويسيرون حياتهم به . . فخابوا وضلوا . . وحملوا تبعاتهم . . وما قدمت أيديهم . . فبئس ما صنعوا وما كانوا يصنعون . .

الفصل الثالث

مشكلات الحضارة

دراسة ثالثة

في لحظات الدهشة

مشكلات الحضارة

١ - ألحب :

الحب . . شيء جميل . . وصفة طيبة . . يتميز به كل ذي لب . . وصاحب عقل . . ومـزاج مستقيم . . فالسليقة . . أو الطبيعة البشرية تحب الجميل من الأشياء . . والصفي منها . . تحب ما تميل اليه النفس . . وتكره ما تعافه هذه النفس . .

ألحب هو الميل بشغف . . مع شيء من التفكير والاسترخاء والتأمل مع الإعجاب الشديد . . أمر الله به ودعا اليه ووصف به عباده المؤمنين « يحبهم ، ويحبونه » وأخبر رسول الله ﷺ رجـلاً كان عنده أن يقوم فيخبر صاحبه أنه يحبه . .

فالحب . . محمود . . لأنه من عمق الفطرة الانسانية . . ودليل نقائها . . وبرهان صفائها . . فالوحشيون لا يحبون ولا يميلون بعواطفهم . . ولا يدرون الرقة . . ولا الألفة . . ولكن تستجيب نفوسهم لتحطيم . . أو لتدمير . . أو لتقتيل . . ونحو ذلك . .

والمحبون طائعون بعضهم لبعض . . حافظون بالغيب . . ولذا قال القائل :

تعصى الاله وأنت تزعم حبه   هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

والحب الصادق . . هو المجرد عن الهوى . . والأطماع . . النابع من القلب لخلق أو لدين أو لذات كريمة طيبة . . فإن كان لهوى في نفسه أو لحاجة أراد قضاءها . . أو لجاه يطلبه . . فلا يمكن بحال أن يسمى حباً حقيقياً . . وإن كان ذلك فيما بعد .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » أ . هـ رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فالمحب لله . . يحب لشيء امتلكه الآخر . . وامتلاكه لهذا الشيء جاء نتيجة الزام نفسه وسيره على الدرب ووصوله إلى بر الأمان . . فبلغ منزلة المحبة . .

ومن عباد الله . . من تقربوا اليه فأحبهم . . وحبب بهم خلقه . .

يقول رسول الله ﷺ : « إذا أحب الله تعالى العبد ، نادى جبريل : إن الله تعالى يحب فلاناً فأحببه ، فيحبه جبريل ، فينادي في أهل السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض» أ . هـ متفق عليه .

وكلمة الحب : تعني الإعزاز والتقدير والاحترام . . فالرجل يحب الرجل أي يحترمه وينزله منزلة طيبة . . ويستريح لحديثه . . ويتحين مجالسه . . ويذكره بالخير . .

والرجل يحب المرأة أي يجلها ويحترمها ويحافظ عليها من أن تخدش كرامتها أو يهتك عرضها . . أو تذكر بسوء . .

والمرأة تحب الرجل : أي تعظم فيه هذه الخصال الحميدة التي يتحلى بها . .

ولكن وا أسفاه . . لقد أساء قومنا استخدام الكلمات . . فحرفوها عن مواضعها . . فكل شيء يحدث يحدث باسم الحب . حتى ظن السذج من الناس أن الفاحشة حب . . والإعجاب بزوجة حب والنظر المدقق إلى امرأة جميلة حب . . فكله الحب . . الحب . .

ولقد أجرموا . . وا حسرتاه . . جرماً ملأ ما بين السماوات والأرض . .

فالشاب الذي ينظر إلى الفتاة فيعجب بها . . لا يسمى حباً وانما هو إعجاب . . ولو نظر إلى ملايين مثلها لأعجبه منهن الكثير . . فيكون قد أحب نساء العالمين . . ولذا حرم الاسلام النظر . . لئلا يدخل الشيطان من منافذ الضعف وسوء الفهم عند الإنسان فيحل حراماً . .

إن حب الرجل للمرأة لا يكون الا في حالة واحدة . . وهي إن أراد خطبتها فأعجبته فتقدم لها وجب عليه حبها . . أي احترامها وانزالها منزلة المشاركة في الحياة . . وأحد فردي تكوين الأسرة . . ومحاولة اسعادها وادخال السرور عليها ، ودفع الهم والحزن والكرب من أمامها . .

وإذا تزوجها فزين له الشيطان بغضها فبغضها . . فليمسك نفسه ﴿ **عسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً** ﴾ وليأخذ عليها وليجتهد في محبته لزوجته . . ولسوف يرزقه الله ايماناً يحببه بها :

وحب المرأة لشاب . . إعجاب بمنظره أو بعمله أو بوجاهته أو ببدانته . . أو بشجاعته أو بصفة من صفاته . . جهل ولا يسمى حباً . .

فان تقدم لها أحبته . . ودفعته إلى الامام وحافظت على ماله وعرضه . . وأعطته الأمن والأمان والاستقرار . . فهذا هو الحب . .

لقد ارتكبوا باسمك أيها الحب ـ وأنت مثال النبل والطهر والرحمة والرقة

والعطف والانسانية . . والفطرة الذكية ـ ارتكبوا أعظم الفواحش ، وأكبر الكبائر . .

أحبت متزوجة شاباً . . وأعلنت حبها . . وطلبت إلتماس العذر لها . . لأنه الحب !!

وأحب متزوج فتاة . . وتقطع قلبه حزناً لأنه الحب ! !

وأحب متزوج متزوجة . . باسم الحب !!

وأحب عجوز فتاة باسم الحب ! ! وأحبت عجوز شاباً باسم الحب ! ! .

وخرجا معاً متشابكي الأيدي ، متعانقي الذراع باسم الحب .

تبادلا القبلات الحارة ! ! تواعدا . . تساهرا . . تدامعا . . تحازنا تقطعا باسم الحب ! . .

جلسا يأكلان ويطوفان ويغردان ويحلمان . . باسم الحب ! !

حتى خربت البيوت . . وضاعت الأمانات . . ونفذت الرحمة . . وغابت الحكمة . . وسلكا مسلك الشيطان . .

حقاً : إنها لقلوب ميتة عاجزة عن فهم المعاني الطيبة . . والمثل الحميدة التي أودعها الله في الانسان . . القيم الذكي . .

عجزوا فضلوا . . وعليه . . فلو أحب كل انسان لأحب ألفاً . . ولأحبت مليوناً . . ولكن حسناً في التفكير يا قوم . . ومهلا في التدبير أيها الأحباب . .

الإرتباط بشاب :

في سن البلوغ تبدأ الفتاة محاولة إثبات كيانها وأنوثتها . . وإعلان النضج والبلوغ . . فتجالس الشباب أو تميل لمجالستهم . .

ويعطيها هذا الإحساس ايماناً بأنها أصبحت قادرة على الزواج . . فلا تكاد تصدق أن شاباً حدثها في أمر الزواج حتى ترتبط به . .

والحق أنها بعد ذلك تفحص الأمور وتتبين أكثر وأكثر . . فترضى من الرجل بأشياء لم تكن تدركها في بداية بلوغها فتصدم أشد الصدمات . .

ولقد شغل كثير من الشباب الفاسد عواطف الفتيات وحاولوا إغراءهن بالزواج والتلاعب بهذه العواطف والأحاسيس رغبة في التسلية . . وكثيراً ما وقعوا في المحظور . .

وربما حدث ارتباط بين فتاة ناضجة وشاب ما حتى يتيسر الزواج ، فصنعا ما يصنع الأزواج لحين توفر الوسائل . . ولكنه أمر منهي عنه شرعاً .

فالخلوة لا تتم الا إذا عقد عليها . . وكثيراً أيضاً ما استغل كبار الشباب هذا الاحساس عند البنات وخدعوهن . .

والحق أنه قلما يحدث زواج صحيح بين فتاة وفتى تعرفا وارتبطا خارج البيت . . وبعيداً عن الأسرة . . لمعرفته بمداخلها ومعرفتها بمخارجه . .

والمسلمة محافظة على نفسها لا تنقاد إلى الهوى بحال . . خاصة في أمر كهذا فلا تحدث الشباب خارج بيتها الا في حدود الأدب ـ إذا اقتضت الضرورة ـ فان فاتحها زميل لها أو غيره في مسألة الزواج فلتتمعن فيه ولترجئه إلى أبيها . . فان حضر وأسرته أتم الله لها على خير بعد دراسة وتفحص . . وإن لم يحدث فيكون قد أراد التلاعب بعواطفها .

وأحذر اللائى يسرن مع أجانب رغبة في التسلية أو تضييع الوقت أو استناداً إلى الصداقة البريئة . . فكلها حيل أجنبية أريد بها حل المجتمع الاسلامي واقتلاعه من أصوله ليصبح غذاء للمهلكات .

التدخين :

قضية العصر . . يعيشها قومنا بين تناقض رهيب . . فقد فتحوا المصانع وزينوا الفاعل وألبسوه لباس الشهامة والرجولة وألبسوها لباس الأنثى الفاتنة الرقيقة . . ثم عادوا يحذرون من عواقبه ويستغيثون بمن يقدم بحثاً أو حلاً ليكف الناس عن التدخين . . وهو عار على الرجال . . إذ لا استفادة منه على الإطلاق . . إلا الضرر البالغ . . فما بالك بالنساء . . ؟ !!

لقد عشت أكره المدخنات بطبيعتي . . ولا أدري لماذا؟ . . أتحسر عليهن مرة . . والتمس العذر لهن مرة ! .

والحق أن التدخين للمرأة يقضي على كثير من صفاتها الطيبة التي لا توجد في الرجال فهو لا يتناسب مع الرقة والرحمة والعطف والجمال والنزاهة والخلق والأدب العام . . وكل هذا موجود في المرأة .

ودائماً أسأل الله أن لا أرى مدخنة في الطريق العام . . وقد تشددت في « فقه المرأة » فعابت علي كثيرات تشددي . .

ولو أنهن نظرن إلى أضرار التدخين البالغة والتي يكتشف منها الجديد كل عام لعذرن باحثاً مثلي . . يتمنى أن يعيش الناس في وفاق ووئام بعيداً عن الآلام والأسقام . .

ولقد سردت بعض أضرار التدخين في « فقه المرأة » واستسمح القارئة في سرد بعضها ثانية وهو قول طبيب متخصص :

« المرأة أكثر تأثراً من الرجال بالنتائج المضرة للتبغ ، كما هو الحال في الخمور . . فاذا استهلك الرجل مثلا ١٣٢ جراماً من الكحول يومياً يتعرض للإصابة بتشمع الكبد ، أما المرأة فيكفيها أن تستهلك يومياً ٥٢ غراماً فقط لتتعرض لنفس الاصابة بالتشمع .

وتفسير ذلك هو أساس الاستعداد البنيوي الموروث في المرأة ، ويظهر أن

جسم المرأة أقل استعداداً من جسم الرجل للتخلص من المواد الغريبة عن الجسم كالسموم .

وبازدياد عدد المدخنات ارتفعت نسبة الوفيات والإصابة بالأمراض الناتجة عن التدخين . ففي السنوات العشر الأخيرة ارتفع عدد الإصابات بسرطان الرئة بين النساء الإنجليزيات بنسبة ٥٠٪ ، والمعلوم أن ٩٠٪ من حوادث السرطان سببها التدخين .

وإذا كانت النساء المدخنات من اللواتي يستعملن حبوب منع الحمل تزيد عندهن خطورة الإصابة بنوبات القلب ، فاللواتي يدخن أكثر من (٣٥) سيجارة يومياً تكون نسبة الإصابة بالاحتشاء فيهن أكثر بعشرين مرة من مثيلاتهن عمراً من غير المدخنات . ويعجل التدخين في دخول النساء سن اليأس ـ أي انقطاع الطمث النهائي ـ وقد يسهل التدخين الإجهاض عند الحوامل فنسبة التعرض للإجهاض تزيد ضعفين عند المرأة المدخنة ، وقد تحدث ولادة وليد ميت ، ولا يعرف حتى الآن كيف يؤثر التدخين على الحمل ، وربما يحد النيكوتين من توفر الدم للمشيمة ، وربما كانت مادة (الكاربو كسيهيمو كلوبين) في دم الحامل مضرة بالجنين .

وتزداد نسبة وفيات الرضع بعد الولادة بقليل ، ويسبب التدخين للحامل ولادة مبكرة قبل انقضاء المدة الطبيعية للحمل وذلك بسبب اثارة المواد الموجودة في التبغ للرحم .

وهناك علاقة بين نسبة الإصابات التنفسية « في السنة الأولى من عمر الرضعْ » وتدخين الوالدين ، وبخاصة الأم فنسبة التهاب القصبات والرئة في هؤلاء الرضع هي ضعف نسبتها في الرضع لوالدين لا يدخنان . ولقد قرر أن خمس وفيات الرضع (٢٠٪ منها كان يمكن تفاديها لو لم تكن الأم مدخنة ، ورضَّع المدخنات أخف وزناً منذ ولادتهم . . وهذا ما يعرضهم لضعف في المقاومة والمناعة ، وتدخين الأم هو أضمن طريقة لجعل الأولاد من المدخنين في المستقبل . ويسبب التدخين للنساء تغضناً مبكراً واسمراراً في الجلد ، واصفراراً في الأصابع ،

وتسوساً في الأسنان ، وقد تزول كل هذه الأعراض عند التوقف عن التدخين ، فهل يعي الجنس اللطيف هذه الحقائق »[1] .

هل ترضى الأم أن يصاب جنينها وأن تشوه خلقته بسبب تدخينها إذا كانت ترضى لنفسها أضرار التدخين ؟ . .

هل ترضى الأم أن يقلدها أولادها فيدخنون مع صغر سنهم ؟

إن الاقلاع عن التدخين ضرورة حتمية . . وإنه لبسيط جدا إذا عقلت المرأة ، لمصاحبته لحالة نفسية . . فهو يحتاج لقرار ثم تنفيذ وعليها أن تستعيض عنه بشيء حلو . . ولا يسمع لمن يصعِّبون الاقلاع عن التدخين . . فمنطقهم هو الوهم والخيال . . لا الحقيقة و والواقع . .

السهرات :

تتوالى الأعباء على المرأة فتميل إلى الطرب والفرح بحجة « تغيير الجو » . . فتخرج إلى النوادي أو المسارح لقضاء طويل من الليل . .

وهي بهذا تزيد على نفسها كثيراً من الأعباء خاصة النفسية من حيث لا تدري فمثل هذه السهرات لا تتلاءم بحال مع أنوثتها المليئة بالرقة والهدوء والرحمة البعيدة عن الضوضاء والصخب والضحك على البشر . .

فالمسلمة تحافظ على نفسها . . فمن حقها أن تضحك وتخرج . . ولكن ليس بهذه الطريقة وليس في مثل هذه الأماكن . . التي لا يوجد فيها إلا وحوش البشرية . . فلن تسلم من عيونهم حتى ولو خرجت محجبة . . إن فرضنا ذلك . .

ولكن فرحها يكون بجلوسها مع صديقاتها صاحبات الاستقامة وتبادل الابتسامات الطيبة . . والكلام الجميل والقصص المسلية أو المناقشة الهادفة . . أو مشاهدتها لنتاج إعلامي هادف أو قراءتها لبعض الكتب المفيدة . . الخ . . أما

(١) عن مجلة الأمة - د. نبيل صبحي - العدد الخامس عشر سنة ١٤٠٢ هـ .

سهرها كما نراه في أجهزة الاعلام . . فبعيد عن طبيعتها . . وعن نهج الاسلام .

العمل :

تختار وهي عاملة . . أو مستعدة للعمل . . أتعمل . . أم تمكث في بيتها ؟!

والحق . . أن صغار القوم وكبارهم قد قرروا جلوسها خاصة في زمن كزماننا . . وأن الأكاذيب التي كانت تنادي بخروجها قد ظهر ضلالها واضلالها . .

فهي في الحقيقة لا توفر شيئاً . . إذ أن مستلزمات الخروج تلزمها الكثير . . وتفقدها مالا يقدر بمال . . خاصة إن كان لديها أولاد . . فحنانها لأولادها . . وتربيتها لهم وجلوسها بجانبهم لا يستطيع غيرها القيام به . .

وسنعرض في « الحالة النفسية » للمرأة أمراضاً يصاب بها الأطفال من بعد أمهاتهم عنهم . .

وبخروجها للعمل لا تحقق معنى الزواج الطيب وهو « السكن للزوج » فكيف يسكن إلى مجهدة . . فتدفعه أحياناً إلى الانحراف . . والبعد عنها . . ولقد أجمع المؤرخون والمنادون بحريات المرأة وعظيمات النساء أن أنسب مكان للمرأة هو البيت . . الأمر الذي قرره الاسلام منذ أربعة عشر قرناً من الزمان . . ولكنهم لم يقنعوا به الا بعد رؤية خلافه في عصرنا .

إنتظار الزواج :

يطول عليها الأمد فلا يتقدم من يناسبها لخطبتها . . فتحزن أشد الحزن . . ولها حق . . ولكن لتنظر إلى كثير من المتعجلات . . لقد يئسن من عش الزوجية . . لجحيمه . . وهوله ولقد فكرن في الهرب . .

ذلك أنهن لم يخترن من يناسبهن . . والمنتظرة ربما أراد الله لها خيراً . .

حتى يـأتي إليها من يستحقهـا ليجلب لها السعـادة كلهـا . . فتسعـد في ظله . . وتعيش في كنفه هنية طيبة بعيدة عن المشكلات . .

وليس لها أو عليها إن طـال عليها الأمـد أن تتزين بشتى أنـواع الزينـة . . وأن تلبس الصـارخ من الثيـاب . . أو أن تتلوى لتعلن عن رشـاقتهـا وخفتهـا وجمالها . .

فذلك لا يعجب كثيراً من أصحاب اللب الطيب . . ولا يرضى عنه كل ذي خلق قويم . . وهي بهذا تبعد عنها الأشراف من الناس . . وتعرض نفسها على شرارهم . .

ومـا رأيهـا في أن تكـثر من ذكـر الله ومن قـراءة القـرآن . . ومن دراسـة العلم . . فلعلها لن تجد بعد زواجها وقتاً لذلك ؟ . .

فتـاة مع الله . . أيخذلها . . لا ورب الكعبة . بل سيطرق بابها من يستحقها من المؤمنين الصادقين . . لأن الطيور على أشكالها تقع . .

تحديد النسل :

في حيرة من أمرها . . تسمع عن تحديد النسـل . . قوم نهوا عنه وقدموا ما قدموا من أدلة . . وآخرون أباحوه بل ورغبوا فيه وقدموا ما قدموا من أدلة فالى أي طريق تنحاز ؟ . .

خاصة والظروف الاقتصادية تفرض نفسها . . وضيق المسكن سمة عصرنا . .

أنصحها إن حالت الظروف دون إنجابها أن تنظم نسلها بأن تفرق ولو كان الفرق كبيراً بين الولدين . . فـإن تم ما يناسب ظروفها فلتتوقف بطريق شرعي . . أما التحديد مع تيسر الظروف فمنهي عنه . . وقد ناقشت المسألة في « فقه المرأة » وفي « فتاوى النساء » فلترجع اليها من تشاء .

الروايات :

تجد فراغاً فتشتري لبعض الأقلام . . وتقرأ وتقرأ . . فتحس بالألم أحياناً ويتيه فكرها . . ويتشرد ذهنها . . وتجلس حائرة بين بعض الأمور . . وتتصرف في بعضها تصرف البلهاء . .

لأنها يجب أن تفرق بين الواقع والخيال . . فالواقع انما يحدث بقدرة فائقة . . وصنعة محكمة . . لا يعتريه الخلل ؛ لأنه من صنع الله . .

أما الخيال . . فهو صناعة الأحداث وجريانها لتلتهب بها مشاعر الناس وأحاسيسهم . . وهي من صناعة الانسان . .

وفرق بين الخالق والمخلوق . . فالخالق يعلم ما يصلح العباد وما يجدر أن يحدث بينهم لأنه عليم بتحركات نفوسهم وطرق فهمها وسبل إصلاحها . .

أما المخلوق . . فهو العاجز الذي لا يعرف نفسه . . فإذا استطاع أن يبحث بعض صفات النفوس من خلال التجارب والتحاليل النفسية أيقن بعجزه وأعلن ضآلته . .

فإذا قرأت شيئاً من هذا القبيل فهو الخيال . .والوهم، وليس الواقع . . ونصيحتي إليك . أن تقرأي التاريخ . . ففيه من العبر والسلاسة والوعظ والمتعة ما لن يوجد عند الخياليين . .

أجهزة الاعلام :

تشاهد عملا دراميا . . فتنشد اليه . . وتبهر به . . ولكنها تحس بعد إتمام مشاهدته أحياناً بشيء تمعن الفكر فيه . . فتعلم أنها على باطل . .

تسمع عن بعض المشخصين فتعزم بحياتهم ومكانتهم ولكنها تصاب بالخيبة إذا عرفت الفشل عندهم . .

لأنها لم تعلم أن الخيال المذكور يجرف الانسان إلى الهاوية دون أن يعلم . .

وأن المشخصين قلما تجد لديهم شخصية مستقلة . . لتأثرهم بمن يشخصونهم . .

أنصحها بالبعد عن الأفلام والمسلسلات الهابطة . . فان رأت شيئاً منها تناسته في الحال . . وفي أجهزة الاعلام الكثير من البرامج المفيدة والثقافة البناءة فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء . . فلتشاهدها ولتحافظ عليها إن وجدت وقتاً . .

الأب المعصب :

يلزمه . . يحاسبها . . يصرخ في وجهها . . يسبها أحياناً . .

هو أبوها . . يخاف عليها . . ينظر إلى مشكلات الناس . . فيغضب أشد الغضب . . حينما يقف أمامها لا يرضى لابنته أن تكون كهؤلاء . . فيصرخ وتحمر وجنته ويغضب كأنه منذر جيش . .

ولو كان مفرطاً . . لمهد لك الطريق . .ولغضبت يوماً منه . . إننا لا نجنبه الخطأ فقد أخطأ . . فيمكنه التخاطب والتعامل بطريقة أفضل . . والواجب عليها في لحظة رضا أن تلاطفه . . وتشكو اليه شدته . .

ولكن . . يجب عليها ألا تضيق ذرعاً به . . فقد ربّاها . . وانما يغضب من أجلها فجر الله خيراً . .

فإن رأى يوماً شيئاً لا تفعله . . وترى المصلحة العليا فعله . . فلتعرض بعيداً عن التشنج والغضب قضيتها لمن يؤثر عليه . . لعله يستطيع إقناعه . . وما دامت على الحق فلن تهلك أبداً .

وفي كل بيت مشكلة . . فلتحمد الله على أي حال . . وتدعوه أن يوفقها . .

الأب الجاهل :

بلغت درجة من الثقافة . . تريد أن تعيش حياتها الملائمة لثقافتها . . ولكن الأب لا يعي مثل هذه الأمور . .

ربما أحرجها أمام زميلاتها . . أو نهرها أمام أخواتها . . ضاقت ذرعاً بتصرفاته . . تحاول أن تحلل له المواقف . . فلا يريد أن يقتنع بشيء . . فعنده العادات والتقاليد هي المقياس الوحيد الذي يقيس به الأشياء . .

ولكن . . هل أخطأ هذا الأب حينما دفعها إلى التعلم والثقافة . . هل ارتكب جرماً ؟ كان بوسعه أن يبقيها بجواره جاهلة . . ولكنه أراد لها الخير ولم يرد لها أن تكون مثله . . فجزاه الله خيراً . . وإن الله ليبتلي الناس جميعاً . وإن هذه البلية لبلية ضئيلة . . فالصبر على أب . . هو طعم سائغ . . فلا ينبغي تضيق به بل تحاول محاورته باستمرار . . وتعطيه من بنوتها مع إظهار المحبة والحنان وهو سيعطيها ما تطلب . . ويبتعد شيئاً فشيئاً عما تكره . .

سيكولوجية المرأة

للمرأة طبيعة . . من سماتها . . أن تفرض نفسها على سلوكها وتصرفاتها . . لا تدري ماذا تفعل . . أو ماذا تريد ؟ . .

والعقلاء . . يحاولون فهم الواقع بشتى صوره . . ومتطلبات النفس ورغباتها . . وهل يتفق مع المبادىء السامية أم لا ؟ .

وسيوكلوجية المرأة في كل مرحلة من مراحل حياتها تطلب منها . . فالمسلمة العاقلة تعرفها لتتبين هذه الرغبات أهي متفقة مع ما جاء به الاسلام أم لا ؟ . . وهذا الفصل محاولة لبيان سيكولوجية المرأة في مراحلها المختلفة عساها أن تحاول جاهدة أن تحل مشكلاتها من خلال فهمها لها . . وبالله التوفيق .

الفتاة في مرحلة المراهقة :

١ ـ يقسم بعض الباحثين مرحلة المراهقة لدى الفتاة إلى مرحلتين ، الأولى : مرحلة البلوغ تبدأ عندها التغيرات الفسيولوجية ، ثم تأتي الثانية : وهي مرحلة المراهقة التي تتكون خلالها الشخصية خاصة في جوانبها السيكلوجية .

والبنت قبل البلوغ لا تكاد تعتني بجسمها ومظهرها ، ولكننا نراها في هذه الفترة تكرس الكثير من وقتها وجهدها لتجميل نفسها .

ويؤكد علماء النفس أن العامل البيولوجي هو المسئول عن اهتمام الفتاة كل هذا الاهتمام . .

« وقد يقع في ظننا أن تأثير العامل البيولوجي بصفة عامة ، والقوى الهرمونية بصفة خاصة ، لا بد من أن يظهر بطريقة صريحة مباشرة في العوامل السيكولوجية (وهو ما يحدث عادة) ولكن الملاحظ أن النشاط البيولوجي كثيراً ما يعجز عن السيطرة على الموقف ، بحيث قد لا يتيسر له التحكم في شتى مظاهر التعقيد النفسي ، وبالتالي فإنه قد لا يقوى على توجيه عمليات النضج في خط مستقيم واضح يؤدي بها نحو « الأنوثة » المطلوبة وهنا يبدأ اهتمام الفتاة بأعضائها التناسلية ، وهو الاهتمام الذي قد ظل حتى هذه المرحلة فيما وراء الستار »[١] .

بيد أننا نلاحظ مع ذلك أن اهتمام الفتاة بالمسائل الجنسية قد يفوق اهتمام الفتى بمثل هذه المسائل . .

والفتاة تدرك أن الحمل لا يأتي بطريقة سحرية وانما لا بد من أن يتعاون الوالدان من أجله . . وتعرف أنه لا بد لتكوين الطفل من نفاذ عامل غريب إلى صميم جهازها العضوي ، وقد تقع تحت أنظار الفتيات كلمات توجعهن وتؤلمهن كقول طبيب في الاذاعة المرئية أو المسموعة « والشعور بالألم أثناء الحمل والولادة . . الخ » . .

---

(١) سيكلوجية المرأة ـ د . زكريا ابراهيم ـ مكتبة مصر (٧٦) .

(فتعمل الفتاة خيالها في تصور تلك الآلام محاولة أن تتقمص شخصية المرأة التي تلد ! وقد تتوهم بعض الفتيات أحياناً ـ حتى في سن متأخرة ـ أن الجنين يخرج من « الاست » فيكون لهذه التصورات : من الأثر على أجهزتهن العضوية ، ما قد يتسبب عنه « امساك عصبي » . . وحتى إذا أسعد الحظ الفتاة ، وكان في وسعها أن تحظى بالمعلومات الصحيحة ، فان مجرد تفكيرها في تمزق غشاء البكارة ، وما قد يصحبه من نزيف ، قد يستحيل إلى أفكار سوداوية تطاردها ولا تكاد تكف عن إزعاجها . وقد روت لنا الكاتبة الفرنسية (كولت) كيف أنها وقعت يوماً مغشياً عليها عقب قراءتها لوصف دقيق لعملية ولادة بقلم الروائي الفرنسي المشهور « أميل زولا » .

٢ ـ كثيراً وقبل هذا الوقت تقع عين الفتاة على الحقيقة . . وهي تظن أن هذه العملية شيء فاضح . . وفي مرحلة الطفولة كثيراً ما تصاب الطفلة بخيبة أمل حينما تجد أن الكبار الذين اعتادوا أن ينهوها عن كل ما هو « قذر » هم أنفسهم الذين لا يتورعون عن اتيان مثل هذه الأفعال (الشاذة) القذرة ! وقد يحدث أن تقع عينها على حالات من دواعي الاتصال بين اناس تشعر نحوهم بالاحترام . . فلا تكاد تصدق كيف يقدم الكبار على هذه الأفعال الخسيسة التي لا تقرها الآداب العامة . . ولكن تعلم أن هؤلاء مرضى أو منحرفون فيحد ذلك من شدة دهشتها . . أما أن يجد الفتى أو الفتاة لدى الآباء أنفسهم ، أو لدى القائمين على تنشئتهما ورعايتهما أفعالا من هذا القبيل، فتلك تجربة خطيرة لا بد من أن تبعث في نفسيهما الخوف الشديد . . وهنا قد يصاب الفتى (أو الفتاة) بصدمة نفسية بالغة، حتى أنها قد لا تصدق كل ما يقال لها عن مثل هذه العلاقات .

وقد دلت التجارب على أن معظم الفتيات في هذه المرحلة يملن إلى الظن بأن والديهن لم يعد يحب أحدهما الآخر ، وأنهما بالتالي على وشك الانفصال .

وهنا قد تميل الفتاة إلى التعلق بأبيها ، ولكن الشعور بالإثم سرعان ما يحفزها إلى الانتصار للأم ، فلا تلبث أن تجد نفسها مضطرة إلى ابداء مظاهر الوفاء نحو والدتها .

ولكن الملاحظ عموماً أن متاعب الأسرة سرعان ما تولد في نفس الفتاة الرغبة في التحرر من المنزل . والاندماج في مجتمعات أخرى .

فتحاول الارتباط بشاب أو التحدث إلى من تسنح لها الفرصة بالجلوس معه وابداء الاعجاب به وإن لم يكن موجوداً عندها . ولكنه محاولة لاظهار الاستقلال الذاتي ، والتعبير عن البلوغ بطريقة حادة .

ولو حاولنا أن نستقصي الأسباب التي كثيراً ما تكمن وراء الاضطرابات النفسية المشاهدة لدى الفتيات ابان المرحلة المبكرة من المراهقة ، لوجدنا أن معظم هذه الأسباب انما ترتد في نهاية الأمر إلى حاجة الفتاة للشعور بالاحترام والتمتع بالثقة . حقاً إن الفتاة في هذه المرحلة تنزع إلى الاستقلال ، ولكن هذه الرغبة كثيراً ما تكون مقترنة بالشعور بالجزع وعدم الاطمئنان ، ولما كانت الفتاة الصغيرة كثيراً ما تكون عاجزة عن ضبط نفسها ، فضلا عما لديها من شعور بانعدام الشخصية الجدية ، مما قد يترتب عليه وقوعها في الطمأنينة النفسية ، فانها قد تتعرض للكثير من الأخطار والمشكلات الاجتماعية عسيرة الحل .

وربما كانت الخاصة الرئيسية التي تميز مرحلة المراهقة المبكرة هي القابلية الشديدة للتهيج النفسي ، مع الرغبة الحادة في التصريف الحركي .

٣ ـ وهناك أوجاع منحرفة قد تصحب الحيض الأول ، فنجد فتيات يصبن بأزمة حادة من « القلق » وقد يقترن هذا القلق بتوتر نفسي عام وقابلية شديدة للتهيج . وحينما يكون لدى الفتاة استعداد سابق للوقوع تحت سيطرة « عصاب » « ناشىء عن مظاهر صراع باطني تولد إبان المرحلة السابقة على البلوغ » فان أول دورة شهرية قد تتسبب في ظهور هذا « العصاب » بطريقة علنية صريحة . وقد يتخذ قلق الفتاة في هذه الحالة طابع « الخوف المرضي » أو قد يستحيل اهتمام الفتاة بجسمها إلى « هجاس » وكثيراً ما تؤدي الأحاسيس بالاثم إلى ردود أفعال من قبيل البارانويا « وهي جنون التشكك والعظمة والشعور بالاضطهاد » .

ومهما يكن من شيء ، فان عملية النضج بأكملها هي إلى حد كبير تكاد تكون مشروطة بموقف الفتاة من ظاهرة « الحيض » . .

وليس « النضج » سوى عملية « توتر باطن » تشترك فيها الشخصية بأكملها محاولة أن تجاهد في سبيل التحرر وتحقيق التوافق مع الواقع من جهة ، وباذلة في الوقت نفسه مجهوداً عميقاً في سبيل السيطرة على الحوافز الجنسية من جهة أخرى[1] .

ومهما يكن من شيء فان من المؤكد أن ظهور « الحيض » لدى الفتاة يمثل تجربة فسيولوجية وسيكولوجية حاسمة في سبيلها نحو النضج واكتمال الأنوثة . وقد ترتبط بظهور الحيض كل العوامل النفسية الكامنة في شخصية الفتاة من غضب ، وخجل ، وهبوط نفسي ، وشعور بالنقص ، وإحساس بالذنب . . الخ . .

٤ ـ بيد أن الفتاة سرعان ما تتقبل وصفها باعتبارها « أنثى » مجعولة للرجل ، وبالتالي فانها لن تلبث أن تفهم أن « الزواج » هو غايتها الوحيدة ، وأنه لا بد لها يوماً أن تلتقي بفتى أحلامها !

والواقع أن المجتمع قد جعل من « الزواج » المستقبل الأعظم للمرأة ، فانها لتلتمس في حمى السعادة الزوجية تلك الطمأنينة النفسية التي كانت تتمتع بها في ظل والديها ، وليس الزواج بالنسبة إلى الفتاة مجرد حياة آمنة تحلم فيها بالطمأنينة في ظل الرجل ، وانما هو أيضاً السبيل الوحيد الذي يمكن عن طريقه أن تصل إلى تحقيق كرامتها الاجتماعية باعتبارها زوجة وأماً .

وهكذا نجد أن هدف الفتاة الأول ـ بحسب الأوضاع الاجتماعية الراهنة ـ هو الحصول على زوج ! ولهذا فإن الرجل سرعان ما يتخذ في نظرها صورة « الموجود الآخر » الذي يكمل نقصها ويضمن لها الأهمية باعتباره ذلك الموجود « الجوهري » الذي يحررها من منزل والديها ، وسلطة أمها ، والذي ينتقل بها من دور الطفولة إلى حياة البلوغ والاكتمال .

ولا يجب أن ننسى هنا أن جسم الفتاة يلعب دوراً كبيراً في تكوينها

---

(١) المرجع السابق (٩٣) بتصرف .

النفسي : فان الملاحظ عموماً أن العلاقة وثيقة لدى المرأة بين الافرازات الغددية والجهاز العصبي .

ولعل هذا هو ما حدا بالبعض إلى القول بأن جسم المرأة « جسم هستيري » ليس فيه أدنى فاصل بين الحياة النفسية والعمليات الفسيولوجية . .

وقد يبلغ شعور الفتيات بأجسامهن إلى حد المرض ، فيخيل إلى الواحدة منهن أن جهازها العضوي مختل ، أو أنها على شفا الإنهيار العصبي .

مرحلة الزواج :

١ ـ إنها أخطر مرحلة في حياة المرأة في اعتباري . . فعليها تقوم سعادتها أو تعاستها . . ونظرتها إلى رغبتها الداخلية وتقييمها لها ومحاولة الاصلاح المستمر من طبيعتها أمر عقلاني تنجو به من ويلات الظلام الذي قد يتسبب بسبب زواج فاشل أحياناً . .

فإذا نظرنا إلى موقف المرأة بالنسبة إلى الزواج فإننا سنجد أن الزواج يعني في نظر المرأة أكثر مما يعني في نظر الرجل .

وإذا كان الرجل في العادة أكثر استعداداً من النساء للرضا بالزواج ، فذلك لأن المرأة تعلق الكثير من الآمال على الزواج ، بينما الرجل يتجه بالقسط الأكبر من اهتمامه نحو عمله خارج المنزل . . والواقع أن البيت لا يشغل من وقت الرجل سوى جزء محدود ، بينما تكاد الحياة المنزلية أن تكون هي كل شيء في نظر المرأة . ولما كانت المرأة تشعر بأن الزواج هو كل حياتها ، فإن المشكلات التي تتولد عن حياتها الزوجية تنطوي في نظرها على معاني أعمق مما تنطوي عليه في نظر الرجل . . ولعل هذا هو السبب في أن نسبة عدد النساء الساخطات على الحياة الزوجية أكبر بكثير من نسبة عدد الأزواج الساخطين على تلك الحياة .

« حقاً إن الزواج هو بالنسبة إلى كل من الرجل والمرأة (على حد سواء)

مشكلة نفسية واجتماعية خطيرة ، لأن على كل منهما أن يعمل على تحقيق ضرب من « التوافق » مع الشريك الآخر ، ومثل هذا التوافق لا يمكن في العادة أن يتم الا ببطء شديد وتحت تأثير عوامل نفسية عديدة ، ولكن من المؤكد أن المرأة قد تلقى الكثير من الصعوبات في سبيل تحقيق هذا « التوافق » بينما قد تزيد قدرة الرجل على « التكيف » فبعض الزوجات اللائي لا ينجحن في التوافق مع أزواجهن هو النوع الأول من الزوجات ذو النزعة الموضوعية ، فضلا عن أنه لا يكترث كثيراً بضروب الصراع العقلي المختلفة ، ومن ثم فانه قد يقترب في المتوسط من الرجل العادي ، بينما يتصف النوع الثاني بشخصية غير متكاملة عملت على تعقيدها عوامل نفسية عديدة إبان الطفولة أو المراهقة » أ . هـ[1] .

٢ ـ وهناك مسألة بخصوص المشكلات النفسية التي قد تترتب على أول علاقة جنسية ، فإنه من المعروف أن لباقة الرجل تلعب دوراً كبيراً في كل حياة المرأة الجنسية في المستقبل . . وقد روى لنا (اتشكيل) أن « البرود الجنسي » الذي قد تصاب به النساء ، كثيراً ما يكون وليد أنانية الرجل ، واندفاعه إلى اشباع رغبته الجنسية على حساب آلام المرأة في الليلة الأولى للزواج . .

وحينما يكون الرجل أخرق ، فقد تتولد لدى المرأة (عقدة نقص) بأنها ليست كباقي النساء ، أو أن تكوينها غير طبيعي . . الخ . . ولكن كما أن المرأة قد تحقد على الرجل الذي يفض بكارتها بعنف ، دون مراعاة لآلامها ، فانها قد تحتقر الرجل الأخرق الذي يقضي ليلة الزفاف في محاولات يائسة دون أن ينجح في فض بكارتها .

وتجد بعض النساء حرجاً وحياءً شديداً من هذه الناحية . . وليس من حرج أن يتمتع الانسان بما أحله الله . . وبما رزقه من النعم . . هذا أولا . . وثانياً عليها أن تحاول مساعدته قدر المستطاع في مهمته ليلة الزفاف . . فربما كان جاهلاً في هذه المسألة . . ولا حرج عليها قبل هذه الليلة بيوم أن تقرأ ما كتبه الأطباء في هذه

---

(١) المرجع السابق (١١٥) .

المسألة .. بل وتطلعه عليه .. ولقد ناقشتها في « الزواج وآداب الخطبة والزفاف »[1] .

٣ ـ نعم حقاً : إن الزواج شيء أكثر من مجرد « رابطة جنسية » ولكن أحداً لم يعد يستطيع اليوم أن ينكر قيمة العامل الجنسي في كل زواج موفق .. وعلى الرغم من أن التوفق الجنسي بين الزوجين هو عملية معقدة تستلزم الكثير من الجهد والوقت ، إلا أنه قد يكون من الخطأ أن نظن أن عامل « الزمن » وحده هو الكفيل بتحقيق مثل هذا التوافق ..

وآية ذلك أن هناك زوجات قد أنجبن أولاداً وبنات ، دون أن تعرف الواحدة منهن معنى النشوة الجنسية : والواقع أن « ايقاع » الحياة الجنسية لدى المرأة قد يختلف عنه لدى الرجل ، نظراً لارتباط المتعة عند الرجل بظاهرة بيولوجية محددة (هي القذف) بينما تظل المتعة الجنسية عند المرأة ظاهرة سيكلوجية معقدة بطيئة . ولعل هذا هو السبب في أن للجماع بداية ونهاية بينما هو عند المرأة عملية نفسية ليس لها بداية محددة ، وقلما تنتهي بشكل حاسم واضح المعالم .

وقد يخطىء الرجل حينما يحاول أن يفرض على المرأة ايقاعه الجنسي المحدد ، لأنه عندئذ انما يحطم تلك الدائرة السحرية العجيبة التي تتحقق في داخلها المتعة الجنسية المعهودة لدى المرأة . وإذن فان اشباع الحاجة الجنسية لدى المرأة ليس مجرد مجهود صناعي يستلزم من الرجل تحقيق التوافق بين ايقاعين مختلفين ، وانما نحن هنا بصدد عملية معقدة تجعل حياة المرأة الجنسية مشروطة بالموقف العام ككل ..

وإن الرجل ليتصور العملية الجنسية أحياناً أنها صراع يقوم فيه بدور البطل ، ولكن المرأة لا تريد دائماً العنف والقوة بل هي كثيراً ما تشعر بالحاجة إلى العطف والرقة ..

وإذا كانت أكبر البواعث الجنسية استثارة لدى المرأة هي الملامسة والملاطفة

(١) ط م القرآن بالقاهرة .

وضروب المداعبة ، فذلك لأنها في العادة تنتظر من الرجل أن يشيع في كل جسدها تلك الحاجة الغامضة إلى الاستسلام ، بدلا من أن يحصر كل همه في اقتحام « قلعتها » الصغيرة في عنف وقسوة وإيلام ! إننا لا ننكر أن « المازوشية » تلعب دوراً كبيراً في حياة المرأة الجنسية ، ولكننا نعتقد أنه إذا لم ينجح الزوج في أن يمنح زوجته ما تحتاج اليه من حب ورقة وحنان فإنها لن تستجيب مطلقاً لسائر المهيجات الجنسية .

وليس يكفي أن تقول مع بلزاك « إن المرأة قيثارة ولا تبوح بأسرارها إلا لمن يعرف كيف يعزف على أوتارها » . .

وانما يجب أن تضيف إلى ذلك أن المرأة لا تستجيب الا لذلك الزوج الذي يأخذ بيدها في دعة ورفق لكي يسلمها إلى أحضان « النشوة الجنسية » حيث تختلط معاني العناق بين الزوج والزوجة بمعاني الحنان وبين الأم والطفلة .

والعاقلة : من تحدثت إلى زوجها المخطىء وحاولت ولو بطريق مباشر أن تفهم حل مشكلاتها بعد أن تعرف أنها مشكلة بالفعل . . وذلك بإعطائه كتاباً . . أو بإرشاده اليه . . أو بقراءته شيئاً من هذا القبيل . . فاذا اجتهدت . . ونوت خيراً . . فان الحق سبحانه وتعالى سيوفقها للتفاهم معه ولحل جميع مشكلاتها من هذه الناحية .

٤ ـ لو رجعنا إلى ما يقوله دعاة حركة التحرير النسوي في تعديد مساوىء الحياة الزوجية ، لوجدنا أن كل هذه الثورة على « الزواج » انما هي مجرد تعبير عن ضيق المرأة بحياة المنزل وسخطها على تبعات الزوجية . وقد أسهبت الكاتبة « سيمون دي بوفوار » في وصف ما تنطوي عليه هذه الحياة المملة الشاقة من سأم ورتابة وتفاهة ، كما أفاضت في الحديث عن انخفاض مستوى المرأة العقلي والاجتماعي بسبب انحصارها في دائرة ضيقة لا تعدو أعمال التدبير المنزلي والحياكة والطبخ والتعامل مع الأطفال ؟

ونحن لا ننكر أن هذه الكاتبة على حق حينما تدعو المرأة إلى استبقاء صلتها

بالعالم الخارجي ، وتوثيق عرى الصلات بينها وبين ما يدور في المجتمع من حركات فكرية وثقافية ، ولكننا لا نفهم معنى لهذه الثورة الجامحة على نظام « الأسرة » . في حين أن أجمل ما تحلم به كل امرأة سوية لا تعرف الشذوذ هو أن تكون أماً صالحة .

وحتى إذا لم نسلم مع بعض الباحثين النفسانيين بأن معظم نشاط المرأة موجه في العادة نحو الداخل (لا الخارج) فاننا لا بد من أن نعترف بأن حلم « البيت السعيد » أو « العش الهانىء » هو حلم طبيعي يراود كل فتاة .

ونحن لا نعني بذلك أن يكون كل هم المرأة هو توديع زوجها في الصباح ؟ وتمضية نهارها في السأم والانتظار ، أو في العمل الشاق الرتيب ، وانما نعني أن كل عمل تنهض به المرأة في الخارج لا يمكن أن يعوضها هناءة « البيت السعيد » وإذا كانت مطالب الحياة الحديثة أن تنزل المرأة إلى ميدان العمل ، وأن تشترك مع الرجل على قدم المساواة في النهوض بأعباء المجتمع ، فان هذا النشاط الخارجي المحمود قد لا يشبع حاجة المرأة إلى الاستقرار المنشود .

ولسنا ندري إلى أي حد يمكن أن تنجح المرأة في التوفيق بين الحافزين ، ولكننا نعتقد أن هذا النجاح رهن بظروف كثيرة ، فضلا عن أنه مشروط بالطراز المعين الذي تنسب اليه هذه المرأة أو تلك .

وليس من شك في أن هناك نساء « مسترجلات » يجدن لذة كبرى في القيام بنشاط خارجي ، بينما يضعف لديهن الحافز النسوي الذي يملي عليهن القيام بنشاط داخلي . . ولكننا قد لا نعدم لدى مثل هؤلاء النساء بعض الميول الأنثوية التي تتجلى في مناسبات معينة ، خصوصاً حينما يطلب إلى الواحدة منهن الاشراف على تربية طفل أو يتيم . .

ولقد أعلنت المرأة حديثاً افلاسها إذ لم تستطع التوفيق بين الخارج والداخل . . واللائي طالبن بخروجها يطالبن الآن باعطائها نصف الأجر وجلوسها في البيت في فترات معينة وهم بذلك يناقضون أنفسهم . .

لقد ألقوا على عاتقها الكثير . . فتحملت حتى جأرت بالشكوى . . ولو أنها فهمت واجبها في الحياة لما خضعت لقول أحدهم . .

في دور الأمومة :

ليس من شك في أن دافع الأمومة الذي يربط الأم بصغارها منذ البداية ، هو دافع غريزي وثيق الصلة ببعض الحاجات العضوية والضرورات الفسيولوجية . وآية ذلك أن الأم تظل متعلقة بأبنائها طالما كانوا صغاراً ، وطالما كانوا في حاجة إلى رعايتها .

ولكن بمجرد ما يصبح الحيوان قادراً على الاستقلال عن أمه ، والنهوض بحاجاته الخاصة ، فان دافع الأمومة سرعان ما يضعف ، لكن لا يلبث أن يزول تماماً ، وقد تختلف مظاهر « الأمومة » باختلاف الفصيلة التي ينتسب اليها الحيوان ، ولكن الملاحظ عموماً أن دافع الأمومة عند الحيوان هو مجرد مظهر غريزي حيواني يعبر عن عملية فسيولوجية محددة . وأما لدى الانسان ، فان واقع الأمومة هو إلى حد كبير عملية سيكولوجية ترتبط بالكثير من الأوجاع الانفعالية التي لا تخلو من تعقيد .

وليس بين الدافعين من تشابه سوى أن كلاً منهما في خدمة الوظيفة التناسلية أو وظيفة التكاثر . ومع ذلك ، فإن تحول غريزة الأمومة إلى عاطفة أو حب هو أمر قد لا نعدم له نظيراً ـ في الظاهر على الأقل ـ لدى بعض الأنواع الحيوانية .

ولعل هذا هو السر في أن بعض الأفعال الغريزية التي يقوم بها الحيوان قد تتخذ طابعاً عاطفياً يقربها إلى حد ما من مظاهر السلوك الانساني .

ولكن مهما يكن من شيء فإن التجارب قد دلتنا على أن سلوك الأم ـ في المجال الحيواني ـ متوقف على بعض العمليات الهرمونية ، ولا زالت المحاولات تبذل ـ في المجال الانساني ـ لتحديد مثل هذه العلاقة بدقة لدى أنثى الإنسان .

إن الأمومة لتبدو لنا ظاهرة نوعية ذات أوجاع عاطفية خاصة فضلا عن أنها تخضع لضرب من التطور خلال مراحل الحمل والوضع والرضاعة . . الخ وليس من شك في أن هذه الظاهرة وثيقة الصلة بوظيفة المرأة التناسلية ، ولكن يجب أن ننسى أن حياة المرأة السيكولوجية قد تكون أكثر تعقيداً من حياة الرجل ، لما فيها من ثنائيات متعددة وأقطاب لا حصر لها : فهناك الحياة والموت . وهناك غريزة المحافظة على بقاء النفس وغريزة التناسل أو التكاثر ، وهناك الدافع الجنسي ودافع الأمومة ، فضلا عن ضروب الصراع المختلفة بين الفاعلية والقابلية ، بين العدوان والمازوشية بين الذكورة والأنوثة . . الخ ، ولا نرانا في حاجة إلى القول بأن ضروب الصراع المختلفة بين هذه القوى العديدة (التي يؤثر بعضها على البعض الآخر) هي التي تضفي على سيكولوجية الأمومة الشيء الكثير من العمق ، والخصب والثراء .

وليس أدل على أهمية الأمومة في حياة المرأة من قول شاعر بولندي « إن قلوب النساء لهن كخلايا النحل : إن لم يملأها شهد المحبة وحنان الأمومة ، استحالت سريعاً إلى أوكار للأفاعي » ! ولكن هذا الشاعر قد نسي أن الأمومة لا يمكن أن تزول تماماً من قلب المرأة .

في سن اليأس :

حينما ننتقل إلى سن اليأس من مرحلة الأمومة فإننا لا نعني بذلك أن نفصل بين المرحلتين . . فيجب أن نلاحظ أن الأمومة ليست مجرد « مرحلة » من مراحل تطور المرأة ، وإنما هي الوظيفة الرئيسية التي تتركز حولها كل حياة المرأة منذ الطفولة حتى الشيخوخة . وليست الأمومة بالنسبة إلى المرأة مجرد غريزة حيوانية ، وانما هي عاطفة خصبة « تستمد منها معظم مظاهر النشاط النسوي قوتها الدافعة وطاقتها الإبداعية » .

حقاً إن الأمومة تنطوي على عمليات صراع مختلفة تتم في نفس المرأة بين مطالب الذات وخدمة النوع ، بين ميل الأم إلى المحافظة على الوحدة التي تربطها

بالطفل ونزوع الطفل إلى الإستقلال والتحرر ، بين الحب والعداء ، فضلا عن اقترانها بالكثير من مظاهر الصراع الشخصي والعصابي ، ولكن من المؤكد أن كل مصير المرأة انما يتوقف على مدى قدرتها على تحقيق تكاملها النفسي من خلال هذه العمليات نفسها .

فليست الأمومة مجرد حمل تنوء به المرأة ، بل هي أداتها إلى تحقيق تكاملها النفسي ، وهي وسيلتها إلى اكتساب « الاتزان » اللازم لبلوغ السعادة ، وعلى الرغم مما يكتنف الأمومة من مصاعب ومشكلات ، فانها تعبر عن تلك « التجربة » الخصبة التي تستطيع المرأة من خلالها أن تحقق رسالتها ، وأن تجد لذة كبرى في الوفاء بمطالب مصيرها البيولوجي .

وحينها تشعر المرأة بأنها قد نهضت بهذه المهمة على الوجه الأكمل وأنها قد نجحت في أن تحقق توازن أسرتها ، وأنها قد استطاعت أن تكفل لأبنائها ما هم في حاجة اليه من معونة وجدانية واجتماعية ، فإنها عندئذ قد لا تجد حرجاً في أن تتقبل باتزان وتعقل تلك الأحداث البيولوجية الهامة التي تعرض لها باقتراب « سن اليأس » وهي السن التي تؤذن بانتهاء خدمتها للنوع[1] .

ومما لا شك فيه أن هذه المرحلة ذات أهمية كبرى في حياة المرأة لما يصاحبها من اضطرابات نفسية خطيرة ، رغم أن كثيراً من الباحثين يقرر أن هذه الأعراض النفسية المصابحة لهذا التحول الفسيولوجي ليست بذات بال .

ونحن نعرف أن ما يميز هذه المرحلة فسيولوجياً هو انقطاع الحيض . وتوقف تكوين البويضات وضمور الأعصاب التناسلية ، وظهور أعراض الشيخوخة على باقي أجزاء الجسم ، وإذا كان البعض قد أطلق على هذه الفترة من حياة المرأة اسم « المرحلة الحرجة » . .

والظاهر أن المرأة في هذه المرحلة تدرك العمليات البيولوجية الباطنة ، قبل أن تفطن إلى التغيرات العضوية الخارجية ، وهذه الإمارات الباطنة سرعان ما

(١) سيكلوجية المرأة ـ د/زكريا ابراهيم (١٧٣) .

تقترن بإدراك العلاقات الأولى للشيخوخة فيترتب عليها تزايد اهتمام المرأة بشخصها .

وهكذا ينشأ لدى المرأة ضرب من الصراع في سبيل المحافظة على أنوثتها ، حتى قبل أن يطرأ أي توقف على جهازها التناسلي وتبعاً لذلك فإن نشاط المرأة سرعان ما يتضاعف ، وقد يتجه هذا النشاط نحو المراكز المهددة بالذات ، فنرى المرأة تشعر برغبة حادة في أن تحمل وتعاود تجربة الأمومة التي سبق لها أن تخلت عنها منذ سنوات طويلة ! وعلى الرغم من كثرة مشاغل المرأة وتعدد واجباتها في البيت أو خارجه ، بل على الرغم من استغراقها في مشكلات أبنائها اليانعين ، فانها قد تنجب في هذه الفترة السابقة على سن اليأس طفلاً أو طفلين ، وكأن لسان حالها يقول : « لنغتنم الفرصة قبل أن توصد الأبواب » . . قبل الدخول في سن اليأس .

وقد يتغير سلوك المرأة ، فنراها تحاول أن تثبت في عناد أنها لا زالت شابة ، وأن كل ما طرأ عليها من تغير لم يستطع أن ينفذ إلى صميم حياتها الجنسية ! وإذا كان البعض قد سمى سن اليأس باسم « العهد الخطير » فذلك لأن المرأة فيه قد تصبح مدعاة للسخرية ، خصوصاً حينها تأبى أن تعترف بالأمر الواقع ، فتحاول أن تقلد الفتيات في سن المراهقة .

ولعل من هذا القبيل مثلاً ما قد تلجأ إليه بعض النساء في هذه الفترة من ارتداء الأزياء الشابة ذات الألوان الصارخة ، أو الإقدام على بعض التجارب الفتية الخصبة ، أو اتخاذ مسلك الفتيات الصغيرات عموماً (كتابة المذكرات ـ الإهتمام بالأفكار المجردة ـ إتخاذ موقف جديد من الأسرة . . الخ .

الإحتلام :

المعروف أنه عندما يبلغ الفتى أو الفتاة يزداد نشاط غدده التناسلية ، وتبدأ في إنتاج مكونات الماء الخراج ، الذي يخرج بعد تراكمه من تلقاء نفسه أثناء الليل بطريقة لا إرادية وهو ما يعرف بالإحتلام .

وفي السنة : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله : إن الله لا يستحي من الحق ، فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت ؟ قال : نعم إذا رأت الماء ، فقالت أم سلمة : أو تحتلم المرأة ؟ فقال : تربت يداك فبما يشبهها ولدها »[1] .

ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاماً ، فقال يغتسل ، وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ولا يجد البلل ، فقال : لا غسل عليه ، فقالت أم سليم : المرأة ترى ذلك ، عليها الغسل ؟ قال نعم ، إنما النساء شقائق الرجال »[2] .

وفي الحديثين دليل على أن المرأة تحتلم بإنزال الماء ، فإذا رأته وجب عليها الغسل ، وأما إذا خرج بغير شهـوة أو لمرض أو غيره فلا غسل عليها كذا أجمع الفقهاء ، وأما إذا احتلمت ولكنها لم تره فلا غسل عليها أما إذا خرج بعد استيقاظ وجب عليها الغسل[3] .

العادة السرية :

الإحتلام ظاهرة طبيعية لا إرادية . . أما العادة السرية فهي ظاهرة إرادية نتيجة الكتب والمشاهدة . . فتلجأ إليها الفتاة لإحداث النشوة بنزول الماء . .

وللعادة السرية أضرار بالغة . . فضلا عن أضرارها النفسية الناتجة عن الإحساس بالإثم والخطيئة . .

ولقد نهى الاسلام عنها لانحدار فعلتها . . وهي حرام باتفاق الأئمة . . والواجب على الفتاة البعد عن دواعي الفوران الجنسي . . وهي في رأيي قضية

---

(١) متفق عليه عن أم سلمة وله ألفاظ عند مسلم ، وقد اخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، والمرأة السائلة هي أم سليم .
(٢) رواه الخمسة الا النسائي .
(٣) انظري (فقه المرأة المسلمة) للمؤلف (٥١) ط م القرآن .

الالتزام وعدمه . . فالملتزمات بمنهج الله يبعدن عنها . . أما غيرهن فيفعلنها . ولذا رأينا أن الإلتزام هو السبيل الوحيد للنجاة من مشكلات الحياة .

إن فهم سيكلوجية المرأة من أهم ما يجب أن تعرفه المرأة في الثقافة المعاصرة الحديثة . .

فمن معجزة الخالق جل في علاه . . أن الإنسان لا يعي نفسه التي هي بين جنبيه . .

فنفسه تطلب وتئن . . وتتلوع وتميل إلى كل محرم . . ولو تركها لخاضت في المفاسد . .

ولقد رزق الله سبحانه وتعالى الفهم والعقل وسرعة البديهة لكثير من الناس فحاولوا تحليل نفوس البشر . . نعم لم يصلوا إلا إلى قشور منها . . ولكن لنضع هذه القشور أمام أعيننا ونحاول أن نقارنها ـ كما ذكرنا ـ من قبل ـ بما أراده الله رب العالمين للبشرية . . فإن انحازت النفس وانجرفت ألزمناها وأوقفناها . . ولجمنا شهواتها . . ولنوجهها حيثما أراد الله رب العالمين . .

إن المرأة المسلمة بفهمها هذه السيكلوجية . . ألتي تعني متطلبات النفس في كل مرحلة من مراحل حياتها . . تستطيع أن تحل المشكلات التي قد تطرأ عليها . . وعليها أن تستعين بالله أولا وأخيراً . . فالله المستعان . . وعليه التكلان . .

الحالة النفسية

كثير من النساء ـ كالرجال تماماً ـ يتعرضن لحالات نفسية . . تظلم حياتهن بل وحياة من حولهن من الأقرباء . .

وبدراسة بعض هذه الحالات وبمعرفة أسبابها تستطيع المرأة المسلمة العاقلة

أن تتجنبها أو تجنبها أبناءها . . فنفوسنا بأيدينا . . فإذا مرضت . . فهذا ما قدمته هذه الأيدي . . فربما أظلمت حياة من أجل دقيقة صغيرة . . كان بإمكاننا تخطيها .

١ ـ الوسوسة :

تأتيهن أحياناً ـ خاصة بارعات الجمال ومن هن في شرخ الشباب ـ يتوجعن ويتلوعن . . يشعرن بوسوسة دائماً . . متى كن بمفردهن شعرن بنوبة قلق بالغة الشدة . . حتى في الليل يحاولن دائماً إيقاظ الأزواج أو الآباء من نومهم ليتحدثن عن آلامهن . .

المريضة بهذا المرض تشكو من الأمراض الجسدية ، من أمراض عجيبة ، من طلوع وبروز ونتوء وأحاسيس ، تظهر الفزع الشديد من الموت بسبب هذه الظواهر . .

تشعر بشيء في حنجرتها . . برؤوس مدببة تبرز من فروة رأسها ، أطراف دقيقة . . وتتحسس عنقها ووجهها ورأسها . .

تشعر كأن أذنيها تطولان وتطولان .
وكأن رأسها ينشق من الأمام .
وكأن قلبها يجب بسرعة متناهية . .
وكأن نبضها يتقطع مع وجيب قلبها . .

وفي كل إحساس من هذه الأحاسيس كأنها ترى إشارة الموت ، وعلامة الفوت . . فتسول لها نفسها الانتحار .

بحثت في تلك الحالة فوجدتها قد عرضت على طبيب قدير من تلامذة فرويد ومن جمعية الأربعاء السيكولوجية[١] وبالتحليل النفسي بعد فحصها قال :

---

(١) هو : ساندرد فرنش (١٨٧٣ ـ ١٩٣٣) .

(أثبت على الفور أعراضاً جديدة على أثر فحصي الأول لها . . فقد عاينت حنجرتها لأعرف إن كانت مصابة بجمود الإحساس فيها ، أو بالحساسية المفرطة . فأضحت تقف أمام المرآة وتطيل الوقوف كل يوم . . وكل ساعة . . وتخرج لسانها وتتأمل فيه .

ومرت أول لقاءات بيننا مملة مضجرة . . أكثرت أثناءها من الشكوى من هذه الأحاسيس ، وبدت الأعراض لي لأول وهلة غير قابلة للتلطيف أو للتعديل . . أعراض راسخة من أعراض الوسواس الجنوني . . وكنت قبل ذلك بمدة وجيزة قد عاينت امرأة مصابة بالعوارض نفسها .

وبدا لي بعد ردح من الزمن أن قواها استنزفت ، وربما لأني لم أحاول أبداً أن أخفف عنها أو بالتالي أن أؤثر فيها ، لأني أطلقت لها الحرية لتقول ما تشاء ، وتتحدث بما تشاء . وأظهر أيضاً قليلاً من التحول . . كانت تشعر بالكسينة بعد المقابلة . . وتنتظر الموعد التالي بنفاذ صبر وتعلمت بسرعة كيف تربط الفكرة بالفكرة ، ولكنها لا تلبث أن تقطع ما ربطته ، فيتساقط التكوين وتبدأ في إظهار الانفعال الجنوني ، وتتصرف كأنها تمثل دوراً .

« أنا . ن . ن . الصناعي » . (هنا تعطي اسم أبيها بوعي غير عادي) ثم تنصرف كأنها هي أبوها وهو يصدر أوامره في مكان العمل . وتقذع بالقول مستعملة الألفاظ النابية ـ كما يفعلون في تلك المقاطعة ـ حيث أقام أبوها . وتتبع هذا بتمثيل دور أبيها وهو فاقد العقل ، قبل وضعه في المصح . .

ولا ينتهي الإجتماع حتى تكون قد تكيفت ، فتلقي التحية بلطف وبشاشة ، وتذهب مع رفيقها أو رفيقتها إلى البيت .

في الساعة التالية بدأت تقول وتردد :

« أنا ن . ن . عندي قضيب ! » . .

وبين الترداد والترداد كانت تتكلم عن شيء جرى في طفولتها . . عندما هددتها ممرضة بشعة بحقنة شرجية ، لأنها لم تكن تتغوط تلقائياً . .

والساعات التالية كانت تقسمها بين شكاويها الوسواسية ، وقصص أبيها المجنونة ، وتجول في الخيال عجيب .

وبعد الإفضاء بسريرة نفسها ، وبهمومها ، وبشجونها ، قرت نشاطية هوسها ، وتسنى لنا دراسة المرض من أول عهده ، فسردت أسباب المرض المثيرة : إندلعت نار الحرب ودعي زوجها للخدمة ، فاضطرت إلى شغل مكانه في العمل . . ولكنها لم تحسن الآداء ، فأفكارها كانت دائماً منصرفة إلى ابنتها الكبرى ، وكانت في السادسة من عمرها . . قضت الساعات تفكر بها بخوف وقلق . . وقد لازمتها فكرة أفزعتها . . صور لها خيالها أن ابنتها ستصاب بالأذى » أ . هـ[1] .

لقد أثر مرض ابنتها الصغيرة على نفسها . . فعاشت وكأنها هي المصابة . . ولكنها تناست بعقلها اللاواعي أنها جاءت إلى الدنيا ناقصة . . أي بعينين تجـولان . .

والمريضة تتذكر دائماً حادثة وقعت بينها وبين فتى صغير في مثل سنها فأظهرا عوراتها . . فأصبحت بعد ذلك ذات قدرة على تعيين الهوية ، أو التمييز بينها وبين أبيها أثناء نوبات البطاح أو هذيان الحمى . .

وقد أحبـت ابنتها لسبـس بول . . فجعل عندها رعباً لا واعيا انشب بها مخالبه . .

وقد أكدت الابحاث عليها أن تحليل حديثها النفسي قد استنتج أنها نزاعة إلى الشك في نزاهة طبيبها واستقامته . .

كذلك طبيعة تشوشها الحسي الناشيء عن الوسواس جدير بالملاحظة . فهو ناشيء في الاساس عن النرجسية (إفتتان المرء بنفسه) وفي حالتها بجسدها . . ثم تحول إلى شعور بـالإعتدال والمرض لم يجد مصداً له . . وهو وسيلة نفسية للتعبير

---

(١) قضايا في التحليل النفسـي (٥٤) ط دار الآفاق الجديدة ـ بيروت .

عن تفاعل هستيري تصوري . . مثال ذلك ، إستطالة أذنيها أصبح (كالنصب التذكاري) لشيء خارق للطبيعة . .

وصدق معالجها حينما قال : (إن الوسواس المرضي البحت لا شفاء منه ، إلا إذا رافقته عناصر التحول العصابي . . وهذه العناصر متى وجدت تتيح المجال الكافي للعلاج النفسي « لمعالجة الإضطرابات النفسية والعاطفية بالوسائل السيكولوجية » ويكون الأمل كبيراً عند ذلك في إحداث النجاح المنشود ، وفي شفاء المريض وإبرائه » أ . هـ .

ولكن . . عندنا في الاسلام علاج شامل حافظ من الداء محيط به . . ولكن الإنسان منا لم يفقهه أو يعرفه ويضعه نصب عينيه . . وسنعرض له إن شاء الله . .

٢ ـ ضيق التنفس :

مرض آخر يعترى بعض النساء وهو الشعور بضيق التنفس . . تشعر المريضة بهياج عصبي لا تهدأ له ثائرة . . كأنها تختنق . . مرضها في نفسها وليس مرضها في نفسها ، دار بينها وبين طبيبها[1] حديث نورده هنا للتعرف على حالته وتعليق الطبيب عليه . .

قلت : ما الذي جعلك تستعينين بأكثر من طبيب ؟ أهو الوصب والنصب ؟ أم المرض ؟ . .

قالت : أعاني من ضيق في الصدر ، ولا أستطيع أن أتنفس !

لم أعلل ما يصيبها في أول الأمر بضعف الأعصاب . . ولكني ما لبثت أن رجحت إصابتها بعارض من العصاب ، وهو عادة يسبب ضيق النفس ، والشعور بالحاجة إلى الهواء » .

وقلت : « إجلسي . . إشرحي لي حقيقة شعورك عندما تنتابك الأزمة » . .

---

(١) سغموند فرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩) طبيب وباحث .

قالت : «آصاب فجأة فأشعر أني غير قادرة على التنفس . . يبدأ الضغط على العينين . . يثقل رأسي . . يطن . . فلا أكاد أتحمل الطنين . . يتبع هذا دوار ، فيخيل لي أني أتهافت وأنهار . . ثم يبدأ صدري يضيق ، يبدأ في الانضغاط ، فلا أتنفس إلا بجهد . . » .

قلت : 'ألا تشعرين بتآكل في الحلق ؟ . .

قالت : كأنه يرتبط . . صدري يرتبط ويتقيد بسيور ، وتكون حالتي حالة من يختنق . .

قلت : هل تشعرين بألم في الرأس ؟ أي بصداع ؟

قالت : أجل بمطرقة تشقه وتحطمه .

قلت : ألا يفزعك الأمر ؟

قالت : دائماً أفزع وأرتعب . . أرى الموت ماثلاً أمامي . . أنا في العادة شجاعة . . أذهب إلى كل مكان . . إلى القبو أنزل ، إلى الجبل أصعد ، بل إلى الجبال . . بيد أني أشعر كأن أحداً يلاحقني ويقف ورائي ، ثم يمسك بي فجأة بتشبث .

(إنها أزمة عصابية حقاً . . تبدأ بتيار هوائي يسبق النوبة الهستيرية . . أو بكلام آخر ، نوبة هستيرية محتواها العصاب . . فهل تتضمن يا ترى شيئاً آخر ؟) .

قلت : وعندما تقع الأزمة : أتفكرين دوماً بالشيء ذاته ؟ أترين شيئاً أمامك ؟

(لعلنا عثرنا على أمر ينقلنا بسرعة إلى الجوهر) . .

ثم تابعت : « هل تتعرفين على الوجه ؟ أعني ، أهو وجه مألوف لا تفتئين ترينه ؟ » .

قالت : كلا . . .

قلت : أتعرفين كيف نشأت الأزمة ؟ . .

قالت : كلا . .

قلت : متى أصابتك أول مرة ؟

قالت : قبل سنتين ، وأنا في صحبة عمتي ، وكنا نقيم على الجبل الآخر . . كانت تملك منزلاً . أمضينا هناك في هذا المكان سنة ونصف السنة ، ولكن النوبة تتكرر ، وكأنها لا تنسى موعدها معي . .

إن هذه الفتاة تعرضت للإعتداء فشعرت بعدها بضغط على عينيها وعلى صدرها وتلاحظ بعد إتمام حديثها تضرج وجهها وانبساط أساريرها ، وشعورها بعبء ثقيل يرتفع عن صدرها .

أجل . . لقد استحوذ عليها النفور والاشمئزاز . .

لقد هاجمتها نوبة العصاب وحالة هستيرية . .

يقول معالجها : « لا اعتراض البتة على ما يذهب إليه كثيرون في قضية الهستيريا هذه من أنه بالتكهن والحدس أكثر منه بالتحليل . والذي لا شبهة فيه أن الفتاة المريضة . تقبلت كشيء محتمل كل شيء أقحمته في قصتها ، ولكنها رغم هذا لم تكن في وضع يسمح لها بالتعرف عليه كأمر اختبرته . .

إن قضية هذه الفتاة حالة نموذجية ففي كل عارض هستيري مرده إلى الرض الاعتدائي ، يجد الانسان أن التجارب السابقة للتمخض الاعتدائي التي لا تخلف أي تأثير على الصغير ، تصبح فيها بعد قوة صارمة حينها تكتسب الفتاة الصغيرة المعرفة وتتفهم حياتها . .

إن الظاهرة الهستيرية في هذه الحالة لم تعقب فور تلقيها الصدمة ولكنها تبدت لها بعد فترة من الحضانة . والقلق الذي أظهرته الفتاة كان هستيرياً ، أي كان حاصل ذلك القلق الذي شعرت به بعد كل صدمة . . ومجرد رؤيتها لما حدث لها » أ. هـ .

إن مثل هذه الحالة من مسؤولية الآباء والأمهات . . فالأم أدرى الناس بأبنتها وما يصيبها من آلام . . فإن رأت يوماً حالتها غير طبيعية فلتسألها ولتحاول جهدها معرفة السبب في غضبها أو انطوائها . . فالبنت في مرحلة الطفولة قد تتعرض لحدث ما كهذه الفتاة فيعقد حياتها ويلازم سنوات عمرها .

وبمعرفة الأم وتغير الصورة المأخوذة من قبل الفتاة . . وبالتوضيح بأن المعتدي إنما جزاؤه عند الله . . وأن الانسان يجب عليه أن يتحمل الأذى ويرضى بما قسم الله له . . وأن الانسان يجب عليه أن يتحمل الأذى ويرضى بما قسم الله له . . وأنه في الدنيا كثير من وحوش البشرية . . بهذه المفاهيم تزول مشكلة الفتاة . . وتعيش بعدها هادئة عالمة بحالها . . أما تركها فيسبب لها في ضيق التنفس وغيره من الأعراض التي ذكرناها .

٣ ـ الإضطهاد :

حكيت . . وغارت في الحكاية . . وتعمقت في السرد . . لم ينتابها شيء من الخجل كشأن النساء وذلك لما حققه الخوف في نفسها من ناحية . . وللخبرة والشجاعة اللتين اكتسبتهما من عملها من ناحية أخرى . .

فقد علمت منذ سنين في شركة تجارية كبيرة ، واحتلت منصباً مسؤولاً . . وأرضاها العمل وأبهج نفسها ، فأقبلت عليه بجد وإخلاص مما جعل رؤساءها يحترمونها ويقدرونها . .

لم تحفل بالرجال وحب الرجال ، وعاشت مع أمها في هدوء ودعة ، وكانت المعيل الوحيد لها والأمل الوحيد . .

كانت وحيدة . . مات أبوها منذ سنين عديدة . .

في الآونة الأخيرة أخذ موظف في الشركة نفسها يوليها اهتمامه ، ويظهر لها وداً ومحبة . . وكان من كبار الموظفين ، مثقفا مهذباً جميل الطلعة جذاب الملامح . .

وبادلته هي مشاعر الود والصداقة . ولكن الزواج لأسباب ظاهرة لم يكن وارداً . . بيد أن الرجل لم يذعن ، أو يقطع علاقته بها لهذا السبب . .

بل زعم لها بالكلام المقنع أنه من أسخف الأمور التضحية للتقاليد والعرف ، بما تاقا إليه . . وأن حقهما في المتعة لا ينازعهما فيه أحد ، ولا يجرؤ انسان على الذم فيما اختارا من مباهج الحياة التي تخصب الحياة . .

ولما قطع على نفسه وعداً بألا يعرضها للخطر . . ترددت على مسكنه أثناء ساعات النهار . . ويوماً ما بينما هما في وضع غير مستقيم سمعت صوتاً . . فسألته والذعر يرجفها فأفهمها أنه صوت ساعة صغيرة . .

فلم تصدق . . فقد رأت بعينيها رجلين على السلم يمسك أحدهما بلفافة صغيرة أشبه بالصندوق لقد أخذت تفكر وتربط الأمور ببعضها : إن الصندوق هو الكاميرا . . وأن الرجلين كانا معهما . . وقد التقط أحدهما صورة لها في الوضع غير المستقيم .

وهجست نفسها بالشك منذ تلك اللحظة وأوجست خيفة من حبيبها ، فلاحقته بما اختلج في نفسها من ريب ، وضايقته وأثقلت عليه . . وجعلت تلح وتطلب التفسير لما جرى ، وبالتالي الإعتراف بالذنب . . بل كتبت له خطاباً ، طويلاً كله ملامة وتعنيف . .

وعبثاً حاول إقناعها بنزاهته ، وإخلاصه لها . . وزاد مع الأيام ما بدأته حتى برم بها برماً شديداً . .

وأقنعها بالحسنى أنها مخطئة ، وبالحزم نبهها إلى ما ترتكبه من طيش ونزق . .

ثم حكت لطبيبها[1] فعقب على حكايتها قائلاً :

« لا أصدق أن الساعة صدرت عنها تكتكة ، ولا أصدق أن صوتاً من الأصوات قد سمعت ، لأن وضع المرأة يبرر تعرضها لسماع ضربة أو نقرة أو

---

(١) سغموند فرويد (١٨٩٦ - ١٩٣٩) سبق .

تكتكة في نظرها . وهذا ما أبرزته لاحقاً كإدراك حسي لعنصر من الخارج . ومثل هذا الأمر عادة يرافق الأحلام . . إمرأة مريضة كنت أداويها من الهستيريا قصت عليَّ مرة حلماً خاطفاً لم تجد له علاقة بشؤونها وبأفكارها . . ولم تجد له تعليلاً . .

حلمت أن أحداً طرق الباب ، ثم استفاقت . لم تجد الطارق ، لم يطرق شخص الباب ، ولكنها في ليال سابقة استفاقت وهي تحس بحاجة ماسة إلى التغوط : وهكذا صار عندها حافز على الاستفاقة من نومها فور شعورها بتحرك في أمعائها . كان هناك (طرقة) في نظرها .

وفي حالة مريضتنا المصابة بشعور الإضطهاد . أضع مكان الصوت الذي سمعته شيئاً شبيهاً بهذا ، ولست ضامناً لصحة كلامها ودقة وصفها لما حصل بينها وبين حبيبها في بيته ، ولكن حالة تقلص منعزل في البطن قد يبرر قولها أن الامعاء لم تتحرك ، وفي رفضها التالي للرجل ، ولا شك في أن عدم تجاوبها مع لذاتها قد لعب ولا غرو دوراً كبيراً بالإضافة إلى دور (الضمير) .

ولنأخذ بعين الاعتبار من جديد الواقع الأكيد بأن المريضة حمت نفسها من حبها لرجل ، أو عصمت نفسها عن حب رجل ، بهذا الوهم الإضطهادي . .

ومفتاح التفهم لهذا الأمر يوجد في تاريخ نشوء هذا الوهم الخادع . . هذا الوهم في مستهل الأمر كان مسلطاً كالسلاح ضد المرأة ، ولكن الآن على أساس جنون الاضطهاد ، تحقق الانتقال من الهدف المرأة إلى الهدف الرجل . .

وهذا التحول هو من أعراض جنون الاضطهاد ، وعادة نجد أن الضحية المضطهدة تبقى مركزة على الأشخاص ذاتهم ، وبالتالي على جنس الشخص الذي انتمى اليه هدف حبها ، قبل تحول جنون الاضطهاد . .

إلا أن الاضطرابات العصابية لا تمنع تطوراً أو تحولاً مثل هذا ، وملاحظاتنا قد تكون مماثلة لملاحظات سجلناها في حالات كثيرة أخرى ، وللملاحظات سجلها سوانا من الباحثين » أ . هـ .

وأتساءل: لماذا لا يكون هذا الصوت صوتاً حقيقياً صدر من وقوع شيء أو رنة جرس الساعة . . الخ . .

لماذا لا يكون من رجل كان موجوداً بالمسكن وأخفى نفسه لئلا يحرج صاحبه ويدعه معها في أمان . .

إن موقف الضعف يفرض على الانسان أن يتخيل كل شيء . . وأن يصدق أي شيء . . ما دام ما يحدث سيترتب عليه اهانته أو فضيحته أو الكلام عنه . .

إن هذه المرأة تشعر دائماً باضطهاد كأنه يجري خلفها يريد قتلها . . يمنع حقوقها . . ينشر صورها في كل مكان . .

مسكينة . . لقد تسببت لنفسها في الوقوع في الحرج والإصابة بالمرض القوي (النفسي) سنين عديدة . . لتركها نفسها دون رقيب تخرج وتجلس في مواضع الشبهات . .

هل أخطأ النهج القويم حينها حمى الانسانية من الأمراض النفسية والعصبية فنهى عن الإختلاط بكل صورة . . وحذر من الانفراد بامرأة . . والتحذير يشمل الجنسين ؟ . .

هل أخطأ النهج القويم حينها دعا إلى جلوس المرأة وتفرغها لبيتها فلا تعمل إلا إذا دعت الضرورة. وعندها تخرج ملتزمة بالحشمة والوقار ولا تتعامل إلا في حدود معينة ولا تتكلم إلا عند الحاجة . .

هل الرجعية الحقيقية أن تطمئن النفوس وتسكن . . أو تنفذ ما بدا لها . . فتمرض بأمراض نفسية فتصبح خطراً على المجتمعات .. ومعرقلا لاقتصادها . . مهلكاً لأبنائها . . ألا تتعذب هذه المريضة . . ألا تتسبب في نصب الآخرين . . خاصة عندما تكون كهذه التي ليس لأمها غيرها ؟ . .

٤ - لم تستطع أن تنام :

(أرنا) الطفلة ، ابنة السادسة ظهرت عليها أعراض بالغة الخطورة . . قاست من السهاد الناشىء جزئياً من القلق والخوف من اللصوص خاصة من يسطو منهم على البيوت » وجزئياً من ممارسات غير سوية . .

ومن هذه الممارسات الانكفاء بوجهها على الفراش ، وضرب رأسها بالوسادة . . والحركة المتأرجحة وهي قاعدة أو مستلقية على ظهرها . . ومص إبهامها بلا انقطاع . .

كل هذه الممارسات المنحرفة التي أرقتها في الليل ، قامت بها أيضاً أثناء النهار . .

وقاست أيضاً من حالات كآبة حادة ، كانت تعرب عنها بقولها : « هناك شيء لا أحبه في الحياة » . .

علاقتها بأمها كانت وثيقة ، تظهر لها من الحب أعظمه ، ولكنها أحياناً ينزو شعورها فتتحول إلى موقف عدائي متطرف ، وقد تسلطت على أمها ، بل إنها أسرتها وعاملتها معاملة السيد للمسود . . حرمتها ، استعبدتها ، ابتلتها بالحب والكره . . كانت مع أمها تماماً كما وصفتها تلك الأم بقولها : « إنها تبلعني » . .

ولا نغالي أو نظلم إن قلنا أنها كانت عصية على التعلم ، غير قابلة أبداً لتقبل الثقافة النفسية . . وكان جلوسها الطويل في سكون وتفكير عميقين ترتسم آثاره على صفحة وجهها بخيوط الكآبة والهم . . وهذا لا يعتبر من صفات الطفولة الطبيعية . . وإلى جانب ذلك كانت تخلف الإنطباع بأنها أحرزت النضج الكامل لامرأة قبل الأوان . .

ومن الأعراض التي برزت قبل غيرها حينما بدأ التحليل ، هو الإعاقة الباطنية للتعلم في المدرسة ، وقد تبين أنها غير قادرة على تحصيل العلم ، ولا تستطيع التكيف مع المدرسة أو مع أولاد المدرسة الذين يماثلونها في السن .

وشعورها الذاتي بأنها مريضة ، كما تقول طبيبتها[1] ـ وكما اتضح لي في مستهل مرحلة العلاج ـ فهي رجتني باكية أن أعالجها ـ مما كان معيناً لي على تحليلها ومعرفة ما يخالجها ويختمر في صدرها . .

تقول طبيبتها :

« لقد سيطرت على حياة هذه الطفلة تصورات مادية . ففي مرحلة متقدمة من مراحل التحليل ، بدأتها كالسابق بالألعاب المائية ، جمح خيالها فتصورت الغائط « المحمص » على الثياب المتسخة يطبخ ويؤكل . فمثلت نفسها جالسة في المرحاض تأكل ما تفرزه ، أو مثلتنا نحن الاثنتين في المرحاض نتبادله لنأكله ، وبرز تصورها بقوة ووضوح أكثر فأكثر في عملية تبادل التوسيخ بيني وبينها بالبول والبراز أثناء التحليل .

وفي لعبة أخرى أظهرت أمها تتسخ مرة تلو المرة ، أظهرتها تلوث نفسها باستمرار ، وأظهرت كل ما في الغرفة متحولاً إلى غائط بسبب أمها ».

وكعقاب لهذه الأم ألقي بها في السجن ومنع عنها الطعام ، فتضورت من شدة الجوع ، ثم كلفت هي بتنظيف ما أحدثته أمها من قذارة ، ودعت نفسها (السيدة المستعرضة بالقذر) أي الشخص الذي يستعرض بالوسخ .

ولحرصها على النظافة ظفرت باعجاب وحب أبيها ، فقدمها على أمها ، وآثرها بحبه ، وتزوجها ، وطهت له الطعام . . وكان الطعام والشراب الذي تبادلاه مكوناً من البول والغائط ، ولكن من نوع جيد لا من نوع مضر كما كان ـ وما تقدم هو مثل عن تصوراتها المادية الشرجية التي تبدت بوضوح من خلال التحليل .

كانت هذه الطفلة وحيدة أبويها ، وبطبيعة الحال كانت تتخيل مجيء إخوة لها يزاحمونها . وتصوراتها بهذا الخصوص تستحق الإنتباه والتفكير ، فهي كما لاحظت

---

(١) ميلاني كلين ـ طبيبة نفسانية بالمانيا . انتقلت إلى انجلترا سنة ١٩٢٦ م .

تصورات لها طابع عام ، وتنطبق على أمثالها الصغار الذين لم يكن لهم أخ أو أخت .

فالطفل الوحيد عادة يتألم أكثر من سواه من مشاعر القلق التي تستحوذ عليه من احتمال مجيء مزاحم له . . فخوفه مستمر . . لأن الاحتمال بمجيء المزاحم مستمر . . وكذلك يعاني هذا الطفل الوحيد عادة من شعور الذنب نحو المزاحم بسبب الروح العدائية اللاواعية من وجوده الوهمي داخل جسم أمه ، لأنه ـ وهذا ثابت ـ لم تتح له الفرصة لتكوين علاقة إيجابية معه في واقع الحياة .

وهذا الواقع كثيراً ما يجعل من العسير على الطفل أن يتكيف مع المجتمع ، وأن يتوافق معه . . وقد مر وقت طويل منذ بدأت التحليل كانت الطفلة خلاله تصاب بنوبات شديدة من الغضب والإضطراب الهائج في مستهل الساعة التي كنا نقضيها معاً وفي آخرها . . وكان هذا بسبب التقائها بالطفل الذي جاء للمعالجة مباشرة قبل مجيئها أو بعده ، واعتبرته هي الأخ الذي كانت تتوقع ـ بخوف ـ مجيئه » أ . هـ .

لقد برز جنون الإضطهاد في طبع هذه الفتاة شيئاً فشيئاً . . فخيالها الجامح صور لها أمها وحشاً يطاردها ويروم افتراسها . . فهي اعتبرت كل إجراء يستهدف تهذيباً أو تلقيناً أو تعليماً ، حتى ما يتعلق بثيابها ،عملاً موجهاً ضدها ، لا يراد منه إلا تعذيبها ، وطبعاً ، المعذبة هي أمها ! وعلاوة على ذلك ، بدأت تعتبر ما تظهره أمها من مودة لأبيها ، وما تأخذ به نفسها أحياناً من صنوف الترفيه ! أعمالاً مقصودة مدبرة ترمي إلى اضطهادها هي والتنكيل بها . .

وشعرت كذلك أنها مراقبة . وأحد الأسباب التي جعلتها تركز على أمها وتتعلق بها ، ولا تفكر إلا بأحوالها وشؤونها كان ما سبقت اليه مرغمة من مراقبتها الدائمة لها . . فقد أظهر التحليل أن الطفلة شعرت بأنها المسؤولة عن كل وعكة تصاب بها أمها ، وأنها لذلك ستنال العقاب ، لما تتصوره دائماً من الأمور الكريهة التي ستصيب أمها ، ولما تتمناه أيضاً من تعرض أمها للمكاره .

تقول طبيبتها في ختام تحليلها « أن منشأ كل عصاب ، وقاعدة كل مرض من هذا القبيل ، هو جنون الإضطهاد ، أو الخوف المستمر من الغير ، أو من الأشياء ، أو من الظلام ، أو من الإنحصار . وأن هذه العلة كلما أتى اكتشافها باكراً كان علاجها أسهل وأقل مشقة وأنها متى أهملت يستعصي العلاج ، ويكون الجنون مطبقاً شاملاً ، ويكون الهلاك العاجل محتماً .

فهذا المرض الذي يتشقق ويتفرع إلى أمراض نفسية رهيبة . يمزق الكيان العاطفي تمزيقاً بشعاً ويصيب الجسم بالأعصاب . وكان التحليل الذي اجريته في كل حالة العلاج الأهم والأقوى ، فلولاه لما كانت هذه الطفلة ستشفى ، لولاه لتحولت الطفلة بعد سنين إلى مسخ بل إلى شلو » أ . هـ .

إن هذه الطفلة المسكينة تشعر بالقلق والإضطهاد فلم تنم . . إنها خسارة في المجتمع الإسلامي . . وتشكل مشكلة في طريق الأسرة المسلمة المريدة للنجاح . . وتسبب لوالديها كثيراً من التعب والنصب وربما المرض النفسي . .

إن هذه الطفلة قد أحست بالضيق من مطاردة أمها لها . . حتى شكت في أمها . . وفي عصرنا تترك المرأة أولادها لظلام البيت ووحدته فيشعرون بالخوف فيصابون بهذا المرض ! . . .

بمقدار هذا المرض . . بمقدار ما يجب على المرأة أن تعيد حساباتها في بيتها وتعاملها مع أولادها . . وكيف أن تركهم في المنزل يؤدي إلى مرضهم . . ومجيئها مرهقة متعبة من العمل لا يعطيهم الحنان والأمان الكامل فيصابون بمثل هذه الأمراض . .

٥ ـ ما برحت تأكل :

هذه مريضة عجيبة حقاً . .

كان لها وجهان . . فوجه يظهر أحياناً بشعاً شنيعاً ، منتفخاً كالبالون يوشك أن ينفجر . . وكأنه مسخ وجه . . فالعينان الغائرتان في جبين من اللحم الداكن تلمعان لمعان المحموم ببريق مريض . .

ـ إن هذه المريضة لم تكن تشعر بالشره المنحرف ، الذي يلجأ فيه صاحبه إلى ايذاء الذات ، أو إلى قتلها ، بما يبتلعه من أدوات وشفرات ، إلا أنها كانت أسوأ من الناحية النفسية . . كانت تخضع لكآبة مأساوية ، وتشعر خلالها بالحافز الذي لا يقاوم للأكل . . لحشو نفسها بالطعام ! للاستمرار إلى ما لا نهاية في الأكل . . ضحية قوى لا طاقة لها على لجمها . . وعندما ينتابها هذا الحادث ويلج عليها ، تصبح في حالة جنون ، في حالة هياج مسعور . . ولا تستكين الا متى أرهقها الجنون . . وسلبها كل عزيمة فيها . . الا متى ارتخت عضلاتها . . وانتفخت معدتها وأمعاؤها من الطعام ومن الألم . . إلا متى سكرت مشاعرها سكراً شديداً بالأبخرة المتصاعدة من الأطعمة في أحشائها . . إنها تأكل . . تأكل كل طعام . . ولا تفرق بين طعام وطعام . . لأنها تأكل ما تجده وما تنتزعه . . ولأنها تشرب ما تجده وما تستخلصه . .

والعذاب الذي تجده هذه المريضة قبل وأثناء وبعد النوبات يفوق كل وصف . . إن لم يكن أكثر من أن يصدقه إنسان . . ورغم وضوح بيانها فإني لم أقدر الرعب الهائل ، والهوان والشعور المتبلد الصارم للحس الذي رافق تلك التراجيديات ، قبل أن أراها . . تقول المريضة . .

« كأنها تأتي ، أو كأنها تلم من لا مكان . حاولت اكتشاف مبعثها ، منشأها ، ولكن عبثاً حاولت . . فهي على حين غرة تصدمني الصدمة العنيفة . . وأكون منهمكة في أي شيء في الرسم ، في العمل ، في التنظيف ، في القراءة ، في الحديث مع إنسان . . لا يهم أين أكون أو ماذا يشغلني . . في دقيقة ينقلب الوضع رأساً على عقب . . في دقيقة ، أكون هادئة رائقة ، وديعة ، متزنة ، مسالمة ، محبة ، وفي دقيقة أكون على صهوة جواد الجحيم الأبدي ! » . .

سئلت عن طريقة أكلها . . إن كان لها نمط معين أو أسلوب خاص . .

فقالت : « كلا . . كلا . . شيء مجنون بلا شكل ، بلا هيئة ، بلا وجه . . لا شيء في الدنيا أريد أكله لا شيء يشبعني ـ لأن الفراغ هو الذي يجب أن يمتلىء . لهذا ليس المهم ما أبتلع ، ليس المهم ما أبتلع ، ليس المهم ما

أزدرد . . المهم الأساسي هو ابتلاعه ، تكديسه في داخلي . . ولهذا فاني أحشو فمي بما أجده ، كارهة نفسي وأنا أحشو ، ثم أبتلع دون استذواق . . آكل ، آكل ، آكل ، حتى يفقد شدقي الحس من المضغ . . آكل ، آكل ، آكل ، حتى ينتفخ جسمي . . آكل كالخنزير المنهوم . ويصيبني الغثيان ، ومع ذلك أستمر في الأكل ، مقاومة الغثيان بالابتلاع والتقيؤ ، ولكن دائماً آكل وآكل وإذا نفذ ما عندي من زاد أرسل في طلب المزيد . . وقبل أن يصل المزيد ينتابني الخبال ، فالفراغ يتسع وينمو . . وتصيبني الرعشة . . ولا يكاد الطعام يصل حتى أنقض عليه كمن صام عنه أسابيع وأسابيع ! . .

لقد مرضت هذه المسكينة بعد ما رأته في منزلها من شجار رهيب . . فلقد طلب الأب شيئاً من الطعام فلم ترض الأم . . بل غضبت أشد الغضب وانتفخت عروق رقبتها الطويلة ، وارتعدت أوصالها كلها في جسدها المنكمش المنقبض ، وقالت بصوت كفحيح الأفعى :

« أتيت إلى البيت لتأكل . . تأتي بعد أن تصفر يدك من المال ، بعد أن تنفق المال على المتشردات ، تظن أني لا أعرف ، أين كنت بالأمس ؟ ألا تعرف أن لك أسرة ؟ . .

فأجابها بلهجة متوعدة « قلت لك أصمتي » . .

وصاحت « لن أصمت . أنت لا تكترث بنا ، ولا بما يصيبنا ويحل بنا ، لا تبالي سواء عشنا أو متنا ، سواء شبعنا أو جعنا . . لا تفكر إلا بصديقاتك ، ولا تنفق الا عليهن ، ولتهترىء زوجتك وليهترىء أولادك » . .

فقال لها زوجها : الصغار الصغار . .

ولكنها قاطعته صارخة : « ألصغار ! لا يعرفون أي أب منحط أنت ؟ أتظنهم لا يعرفون أين تكون عندما تغيب عن البيت ؟

فنظر إليها نظرات حادة . . وضرب بيده على المنضدة . . وهددها . . فطلبت منه أن يفعل ما بدا له . . واحتدم النزاع بينهما بعد شجار وصل إلى الأيدي

تارة وإلى الرمي بالكلام أخرى وأقسم الزوج ألا يدخل البيت . . فأمسكت به محاولة إدخاله . . فخرج عنوة . . وأصيبت هي بالشلل . وابتعد عن البيت تماماً . . وأخذ يرسل لهم من بعيد بظرف به ما يكفيهم . .

هكذا صدمت المريضة . . فمرضت على الفور بهذا الداء العضال . . والذي هو من أشرس الأمراض النفسية . .

آه . . آه . . لقد أمر الحق سبحانه وتعالى الزوجين أن يحفظا سرهما بعيداً عن أولادهما وألا يطلعانهم عليه . . حتى عن الغير . .

وأمر عند الشقاق بحكمين من أهله وأهلها « إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما » فان لم يستطعا فرّقا بأدب . .

إن حياة أطفالنا في أيدينا نوجهها حيث نشاء . . وإنهم ليتأثرون بأحداث الأسرة وما يجول فيها . . والوالدان لا يحبان لابنهما أو بنتهما حتى ولو كانا يبغض أحدهما الآخر . . لا يحبان بحال أن يصابا بمثل هذا المرض . . لذا كان من عظمة الإسلام إظهار هذه الدقيقة الغامضة للناس . . وهي عدم إظهار الخلاف أمام الأولاد . . أو إدخال الغير في مشكلاتهما .

ألمحررة دائمة التعب :

المريضة . . طفلة غير مرغوب فيها . . زواج أبويها كان فاشلاً . . بعد مجيء ابنها ، انصرفت الأم عن الأولاد ولم تشأ أن تحمل بولد آخر . . ولكن الطفلة ولدت رغم أنف أمها التي أجرت بضع محاولات لإجهاضهافلم تفلح . . لم تعامل معاملة خشنة ، لم يهمل شأنها في أي مرحلة . . بل أرسلت إلى مدارس جيدة لا تقل مستوى عن المدارس التي انضم اليها أخوها ، وتلقت من الهدايا ما تلقاه هو . . كما أنها تعلمت الموسيقى كما تعلمها هو . .

المعاملة واحدة لـلإثنين . ولكنها في أمور أقل أهمية ، في أمور ثانوية ليست ملموسة ، كان نصيبها أقل من نصيب أخيها ، العطف أقل ، والإهتمـام

بالدرجات في المدرسة أقل ، والعناية في حالات المرض أقل ، والثقة بها أقل ، والإعجاب بمنظرها وأدائها أقل .

المودة بين الأم والأب كانت أوثق وأشد . . بينما الأب كان متغيباً بصورة شبه دائمة ، لا يأتي الا لماماً ، فهو طبيب يعمل في الريف . .

وسعت المريضة إلى كسب مودته وعطفه . . ولكن مسعاها باء بالفشل لأنه لم يكترث كثيراً بها وبأخيها على السواء ، فحبه محض للأم . . كان حباً أملاه شعوره بالحاجة إلى شريكة له في همومه وأتعابه ، وفي ثقته بنفسه . . بيد أن زوجته كانت تحتقره علناً وتتيه دلالا عليه . . فهي المتطورة والمنظورة لجمالها وكياستها . . وهي المهيمنة على الأسرة ومصائرها . . وكان اشمئزازها من الأب الذي جاهرت به في كل مناسبة مقروناً بتمنيها الموت له حافزاً لها على الميل بنفسها إلى الجانب الأقوى . .

كنتيجة لهذه الظروف غير السوية لم تتوفر لها الفرصة لتقوي وترسخ في أعماقها شعور الثقة بالذات ولم يكن ما لمسته من الظلم والحيف كافياً لتحريضها على التمرد ، فاكتفت بإظهار ما تشبعت به نفسها من خلجات التذمر والنقمة وانعدام الرضا . .وتبعاً لذلك تعرضت دائماً لعبارات الاستهجان والسخرية لأنها تعتبر نفسها الشهيدة . ولم يدر قط في خلد الأم أو الأخ أن ما تشعر به من نقمة له ما يبرره . لم يشعرا أن موقفها السلبي مرده إلى نزعة فطرية دميمة .

فهي ، قد حرمت من الشعور بالإكتفاء النفسي ، إستجابت دون تردد لهذا الرأي ، وأخذت تشعر أنها الملومة على كل أمر . . وبالقياس إلى أمها الجميلة الجذابة المحبوبة من الجميع ، وبأخيها المرح المستبشر المشتعل ذكاء ، كانت البغيضة البشعة . . وهكذا تغلغل في أعماقها اليقين بأنها الفتاة المبتورة غير المرغوب فيها . .

هذا الشك المحض للروح وللنفس . . أخل بكل علاقة ربطتها بانسان ، وأفقدها القدرة على الانتقاد متأثرة بالمبدأ اللاشعوري القائل بأن إبداء الإعجاب

خير من سوق النقد . . وهذا الموقف غل ذكائها وكبله . . وكان ذكاؤ ها من نوع ممتاز وقد ساهم إلى حد كبير في ما استحوذ عليها من شعور الغضاضة . .

تقول طبيبتها بعد تحليلها تحليلا نفسياً[1] . .

وأسفرت هذه العوامل والعناصر عن نشوء ثلاثة اتجاهات عصابية إحداها اعتدال قهري إكراهي في رغباتها ومتطلباتها ، وهذا استتبعه ميل قهري إكراهي إلى تصنيف نفسها تصنيفا متواضعاً ، وإلى الاستخفاف بنفسها ، إلى الاعتقاد بأن الغير على حق دائماً وبأنها على ضلال دائماً. بيد أنها حتى في بؤ رة هذا الغمط للذات لم تستشعر الأمان ما لم يكن هناك من تعول عليه ، من يحميها ، من يدفع عنها ويدافع ، من يشير عليها ويوجه ، من ينعشها ويحفزها ، من يرضى عليها ، من يكون مسؤولا عنها ، من يوفر لها مطالبها واحتياجاتها .

أعوزها كل هذا لأنها فقدت الأهلية ، فقدت الإمكانية ، فقدت الطاقة على تسيير حياتها وإدارتها وتوجيهها ، وهكذا نمت حاجتها إلى (شريك) صديق ـ عاشق ، زوج ـ عليه تتكل ، ومنه تأخذ العضد . . وهي متعاقدة مع نفسها على الخضوع له والرضوخ لمشيئته ، كما تضامنت مع أمها وصدعت بأمرها ، والتمست رضاها . . وهو في مقابل هذا ووفاء منه واخلاصاًسيعيد إليها كرامتها المهيضة .

والإتجاه الثالث العصابي استهدف أيضاً استرداد الاعتبار الذاتي ولكنه بالإضافة إلى هذا امتص الحقد المتجمع الذي تراكم وزادته المذلة والأذية تراكماً » .

إن هذه المريضة تشعر بالخوف المستمر . . ترى الظلام الدامس . . تشك في ظنون الناس . . لقد فضلوا أخاها عليها في أمور كثيرة . . لم يعبأ بها أحد . . أصيبت المسكينة بهذا الداء العضال . .

لقد جاء الإسلام فأمر بالمساواة بين الأولاد في كل شيء . . ليحذر الآباء والأمهات من هذه الكارثة . . فكما ذكرنا . . فان نفس الطفل في يد والديه . . يتحكمان فيها حسب اتجاهاتهما . . وربما أضراها غاية الضرر دون قصد . .

---

(١) كارين هورني (١٨٨٥ ـ ١٩٥٢) انشأت الجمعية الاميركية للتحليل النفسي .

وبعد . .

فلقد رأيت من خلال الماضي هؤلاء المرضى . . كيف أظلمت حياتهم . . وتعست ظروفهم . . وتخبطوا بين جدران الباطل . . وتاهوا وسط الأدغال . .

لقد عرضوا حياتهم لشيء لم يرض الله عنه . . ولم يرض رسوله صلى الله عليه وسلم . . فذاقوا وبال العيش . . وتجرعوا كأس الهلاك . .

لقد أمر الاسلام المرأة أن تجلس في البيت فلم تسمع لكلامه . . فخرجت فمرض ابنها فلذة كبدها من نقص الحنان ؟ . .

لقد أمر الاسلام المرأة أن تسوي بين أبنائها وأن تحاول العدل بينهم . . ولقد مرضت أبنتها لرؤيتها أمها تفضل أخاها عليها ؟ . .

لقد أمر الاسلام المرأة أن تحسن معاملة ابنتها . . . وأن تتخذها أختاً إذا بلغت . . وهذه مريضة أظلمت حياتها من جراء ذلك ؟ . .

لقد أمر الاسلام المرأة ألا تناقش أو تعاتب زوجها أمام أولادها . . وهذه مريضة بسبب هذا الشجار بين أمها وأبيها ؟ . .

لقد أمر الاسلام المرأة بالبعد عن مواطن الشبهات وصانها وصان عرضها وكرامتها . . فلا تخرج مع أجنبي . . ولا تختلي به . . وهذه مريضة شكت في العالم بأجمعه . . وداست على كل خير . . لاختلائها بحبيبها يوماً ؟

إن أخطر الأمراض هي الأمراض النفسية والعصبية . . لأن علاجها غير معلوم لدينا تماماً وغير واضح المعالم . . وأن الأمراض الأخرى لمعروفة أكثرها عند أكثر الأطباء فيعالجونها ويعطون دواءها . .

ألا يجدر بمن أراد السعادة أن يلتزم بمنهج الله القويم حتى لا يصاب بهذه الأمراض الفتاكة التي رأيناها من جراء البعد عن الإلتزام الاسلامي . . فتحل بذلك مشكلاته . . ألا تعلم المرأة بعد هذا . . وآن لها أن تقتنع أن حلول مشكلاتها بيديها إذا هي أعملت فكرها ؟

الفصل الرابع

قبل الزواج ... وبعده

قبل الزواج .. وبعده

١ ـ المرأة بنتاً :

أكرم الإسلام المرأة في جميع صورها .. كما سبق .. فاذا ما كانت صغيرة .. فان الله سبحانه وتعالى وبخ الذي يحزنون لولادتها .. فقال :

﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ، أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾[١] .

« وأوجب الاسلام للبنت ما للولد من حسن الرعاية ، والتربية والتنشئة الصالحة ، وجميع الحقوق والواجبات ، وحذر من تفضيل الولد عليها في الهبة والمعاملة المالية ، والتصرف لصالح الولد في المواريث الشرعية التي حددها الله »[٢] ..

وفي صحيح البخاري « خرج علينا النبي ﷺ ، وأمامه بنت ابي العاص على

---

(١) النحل : ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) الاسلام انصف المرأة د . عبد الغني الراجحي ـ المجلس (٢٩) .

عاتقه فصلى ، فإذا ركع وضع وفي رواية : وضعها - وإذا رفع رفعها » أ. هـ .

إجبار البنت على الزواج :

قال تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾[1] .

وقال :

﴿ والمحصنات من النساء إلا ما ملكت ايمانكم ، كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً ﴾[2] .

وقال :

﴿ والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[3] . .

فبينت الآيات أن القرآن استهدف من هذه الحياة انشاء كيان عائلي ، وندد بالزواج الذي لا يهدف إلا إلى اشباع الشهوة ، ولا يكفل الاستقرار والاستمرار . .

وتكرر الآيات التنبيه على الإحصان : أي سد سبيل الغواية بالتزوج ، وعدم قصد المسافحة والتخادن في معرض التزوج بالحرائر من المسلمات

(١) الروم : ٢١ .
(٢) النساء : ٢٤ .
(٣) المائدة : ٥ .

والكتابيات ، مما فيه توكيد بأن الصلات الزوجية ليست صلات جنسية وحسب ، ولا يجوز أن تعتبر كذلك . . أو ينظر اليها نظرة عابرة كالنظر إلى السفاح والمخادنة . . أو يقصد منها ذلك . . وانما هي أعظم وأدوم وأبلغ ، وأن الواجب حينما يراد إنشاء هذه الصلات بالزواج ، أن يقصد إلى إنشاء كيان تسود فيه فكرة الأسرة وهناؤ ها وواجباتها وحقوقها القريبة والبعيدة . .

فإن كل الاسلام قد استهدف هذه الأمور لصيانة الكيان الأسري . . فالأولى أن يحافظ على وجود المودة والوئام بين الزوجين الذي دعا اليهما . . أي أن لا يحجر على رأي المرأة فتزوج دون رغبتها . .

ـ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر . ولا تنكح البكر حتى تستأذن . قالوا يا رسول الله وكيف إذنها قال أن تسكت » أ . هـ[1] .

ـ وعن خنساء بنت خدام الأنصارية : « أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحه » أ . هـ[2] .

ـ وروى أبو داود وأحمد « جاءت جارية بكر إلى النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة فخيرها رسول الله » أ . هـ .

إذن فقد أعطيت المرأة الحق الكامل في اختيار شريك حياتها . . . دون إجبار من الأهل على أمر تكرهه . .

وكثير من الناس يدركون تماماً أهمية اقتناع البنت بمن يريد خطبتها . . فيعطونها حرية كاملة في ذلك . . فتستغله سيئة الفهم شر استغلال . .

فالعاقلة . . تعتني جيداً . . وتسأل وتحاول أن تفهم رأي أهلها . . وأقاربها والمقربين اليها . . لترسم صورة ولو قريبة من الحقيقة لهذا الذي سيعقد عليها . .

---

(١) رواه الخمسة .
(٢) رواه أبو داود وأحمد .

ولا تحاول أن ترضخ عاطفتها فقط . . فالأشرار كثيرون . . والمحتالون كذلك . .

وقد تسيء المرأة استخدام هذا الحق . . فتزوج نفسها دون إذن وليها . . خاصة إن كانت بعيدة عنهم . .

ففي زماننا . . قد تعمل فتاة بالإسكندرية وأهلها يقيمون في القاهرة فتضطر لذلك وانه لخطر داهم على حياتها . . وعلى حياتنا جميعاً . .

لذلك ننبه إلى أحاديث توجب إذن الولي منها حديث رواه أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال :

« أيما امرأة نكحت بغير اذن مواليها فنكاحها باطل (ثلاث مرات) ، فان دخل بها فالمهر لها بما أصاب منها فان تشاجروا فالسلطان ولي من لا ولي له » أ . هـ .

وحديث رواه أبو داود والترمذي وأحمد والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا نكاح إلا بولي » أ. هـ .

وفي رواية « لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل » أ . هـ .

وبعض المذاهب يأخذ بهذه الأحاديث فيجعل وجود الولي وإذنه وشهادة الشهود شروطاً لصحة النكاح وبعضهم لا يأخذ بها ويجعل النكاح رهناً برأي ورضاء المرأة فحسب . ويبدو مع ذلك من هذه الأحاديث أنه لا يجوز للولي منع من هن في ولايته من النكاح وأن للمرأة التي يمنع وليها نكاحها أن ترفع أمرها إلى السلطان .

٢ - المرأة زوجة :

فاذا ما أصبحت المرأة زوجة بالفعل . . فعليها إذن تبعات وواجبات يجب أن تقوم بها خير قيام لينصلح حالها وتعيش في سلام ووئام واطمئنان إن شاء الله . .

العرس :

هو أول ما يصادفها يوم اعلان النكاح . . فقد اعتاد الناس فيه على اللهو والفرح . . والمسلمة تقف حائرة بين المتشددين والمفرطين .

ولكن عندما نتأمل في السنة نجد الآتي :

- عن الربيع بنت معوذ قالت (جاء النبي ﷺ فدخل حين بنى عليَّ فجلس على فراش كمجلسك هذا فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن « وفينا نبي يعلم ما في غد » فقال دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين) أ . هـ[1] . .

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة ما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو » أ. هـ[2] .

- وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال :

« أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف » أ . هـ[3] . .

- وعن عامر بن سعد قال : « دخلت على قرظة بن كعب وأبي مسعود الأنصاري في عرس وإذا جوار يغنين فقلت : أنتما صاحبا رسول الله من أهل بدر يفعل هذا عندكما فقالا : اجلس إن شئت فاسمع معنا وإن شئت فاذهب ، فقد رخص لنا في اللهو عند العرس » أ . هـ[4] .

وبهذا نتبين جواز اللهو البريء في اعلان النكاح لإدخال السرور على الزوجين بشرط الا يخرج عن الاعتدال والوسط الذي هو قوام الأشياء . . لأنه إذا

---

(١) رواه أصحاب المسانيد والله أعلم بحاله .
(٢) أخرجه أصحاب السنن .
(٣) أخرجه الترمذي عن عائشة قال السيوطي في الجامع الصغير : ضعيف (٤٣) .
(٤) أخرجه اصحاب السنن باسناد جيد .

زاد عن حده انقلب إلى ضده . . فجلب سخط الله عز وجل . . والمسلمة حريصة على إرضاء ربها خاصة في هذه الليلة الطيبة .

المشكلة الثانية التي تجدها المتزوجة ليلة زفافها أو ليلة اعلان زواجها . . أن الناس قد اعتادوا وضع الأصباغ للعروس لتزيينها . . ولا حرج في ذلك ولكن المعلوم أن كثيراً من الناس يشاهدونها فإذا رأوها وهي في تلك الحالة ارتكبت محظوراً . .

فنصيحتي إليها أولاً : أن تجعل من تزينها امرأة مثلها واياها أن تذهب إلى الرجال . . والأفضل أن تحضر هذه المزينة إلى بيتها .

ثانياً : أن تكون وقت جلوسها مع زوجها أمام الناس بين النساء والأقارب فقط . . ولتجتهد في تحقيق ذلك . .

وبعد هذا تزف إلى بيتها في سلام وأمان إن شاء الله . . فان لم تستطع الاحتياط فلتتق الله . . ولا تعرض نفسها للمحظور . .

وفي ليلة الزفاف قد تعاني (العروس) من بعض الآلام عند فض غشاء بكارتها . . فعليها أن تكثر قبل الزفاف وبعده من تناول بعض المأكولات التي ذكرها الأطباء لذلك . . وقد أوردتها في كتابي « الزواج الاسلامي » فلترجع اليها من تشاء . .

من واجبات المرأة المتزوجة :

المرأة المتزوجة عليها عبء ثقيل إذ بها تبني المجتمعات على أساس متين ، وبفسادها ينهار بنيانها . . ويتشقق ملاطها . . ويفسد حالها . .

ومن أولى واجباتها حبها التام لزوجها والتفاني في محبته والإخلاص له . . ومنحه الأمن والأمان وتشجيعه على القيام بواجباته وعلى المضي قدماً في خضم الحياة . .

إذ أن الرجل يخرج إلى الدنيا ليقاسي مرارة العيش . . فيتعامل مع الشجر والحجر والهواء والحديد والميكروب . . ويتعامل مع نفوس الناس التي منها كثير من الأشرار والنصابين والحاقدين والحاسدين . . فهو يقاهر ويغامر بحثاً عن كسرة الخبز . .

ثم يرجع إلى بيته وقد اعتراه هم شديد أو حزن فظيع . . أو غير ذلك مما قد يصعب على بعض الناس . . فيؤثر على نفسه وطباعه . . فإن لم يجد ما ينسيه ذلك كله . . فلسوف يتضاعف حزنه وهمه . .

ومن واجباتها حفظ الأسرار الزوجية . .

ـ روى مسلم وأحمد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال :

« إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر سرها » أ . هـ .

(ومن واجباتها : أن تطيعه في غير معصية ، وأن تحفظه في نفسها وماله ، وأن تمتنع عن مقارفة أي شيء يضيق به الرجل ، فلا تعبس في وجهه ولا تبدو في صورة يكرهها وهذا من أعظم الحقوق)[1] . .

ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سألت رسول الله ﷺ أي الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ . . قال : زوجها . قالت : فأي الناس أعظم حقاً على الرجل ؟ . . قال : أمه » أ . هـ[2] . .

ويؤكد النبي ﷺ هذا الحق فيقول :

« لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، من عظم حقه عليها » أ . هـ[3] .

---

(١) فقه السنة (٢ ، ١٧٢) بتصرف .

(٢) رواه الحاكم .

(٣) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان .

وقد ورد في الحديث :

« خير النساء من إذا نظرت اليها سرتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها » أ . هـ .

ومن عظم هذا الحق أن قرن الاسلام طاعة الزوج بإقامة الفرائض الدينية وطاعة الله .

ـ فعن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ قال :

« إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها قيل لها « ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت » أ . هـ[1] .

ومن طاعتها لزوجها ألا تصوم نافلة إلا باذنه ، وألا تحج طوعاً الا باذنه ، وألا تخرج من بيته إلا باذنه ، وأن تجيبه إذا دعاها . .

ـ فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء ، فبات غضبان ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » أ . هـ[2] . .

ـ وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

« حق الزوج على زوجته ألا تمنعه نفسها ، ولو كان على ظهر قبت[3] ، وأن لا تصوم يوماً واحداً إلا باذنه ، الا لفريضة ، فان فعلت أثمت ، ولم يتقبل منها ، وألا تعطي من بيتها شيئاً إلا باذنه فان فعلت كان له الأجر ، وعليها الوزر . . . وألا تخرج من بيته إلا باذنه ، فان فعلت لعنها الله ، وملائكة الغضب حتى تتوب أو ترجع ، وإن كان ظالماً » أ . هـ[4] .

---

(١) رواه أحمد والطبراني .
(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم .
(٣) اي رحل صغير يوضع على الجمل .
(٤) رواه أبو داود .

.. « ومن حق الزوج على زوجته أن لا تدخل بيته أحداً يكرهه إلا باذنه ..

- عن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ في حجة الوداع يقول : بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ .. ثم قال :

« ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنما هن عوان[1] عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة .. فان فعلن فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً .. ألا أن لكم على نسائكم حقاً .. ولنسائكم عليكم حقاً ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فروشكم من تكرهونه ولا يأذن في بيوتكم من تكرهونه .. ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » أ . هـ[2] ..

ومن حقه عليها أن تقوم بخدمة بيته ..

(فأساس العلاقة بين الزوج وزوجته هي المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات وأصل ذلك قول الله تعالى :

﴿ ولهن مثل الذين عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة ﴾ ..

فالآية تعطي المرأة من الحقوق مثل ما للرجل عليها ، فكلما طولبت المرأة بشيء طولب الرجل بمثله .. والأساس الذي وضعه الاسلام للتعامل بين الزوجين وتنظيم الحياة بينهما .. هو أساس فطري وطبيعي .. فالرجل أقدر على العمل والكدح والكسب خارج المنزل ، والمرأة أقدر على تدبير المنزل ، وتربية الأولاد ، وتيسير أسباب الراحة البيتية ،والطمأنينة المنزلية ، فيكلف الرجل بما هو مناسب له ، وتكلف المرأة بما هو من طبيعتها ، وبهذا ينتظم البيت من ناحية الداخل والخارج دون أن يجد أي واحد من الزوجين سبباً من أسباب انقسام البيت على نفسه ..

وقد حكم رسول الله ﷺ بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله

(١) أي أسيرات .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وجهه وبين زوجته فاطمة رضي الله عنها . . فجعل على فاطمة خدمة البيت ، وجعل على علي العمل والكسب . .

روى البخاري ومسلم أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تشكو اليه ما تلقى في يديها من الرخاء وتسأله خادمة . فقال :

« ألا أدلكما على ما هو خير لكما مما سألتما : إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا الله ثلاثاً وثلاثين ، وأحمدا ثلاثاً وثلاثين ، وكبرا أربعاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم » . .

ـ وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت : كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله ، وكان له فرس فكنت أسوسه وكنت أحسن له ، وأقوم عليه ، وكانت تعلفه ، وتسقي الماء ، وتخرز الدلو ، وتعجن ، وتنقل النوى على رأسها من أرض له على ثلثي فرسخ . .

ففي هذين الحديثين ما يفيد بأنه على المرأة أن تقوم بخدمة بيتها كما أن على الرجل أن يقوم بالإنفاق عليها[1] .

لزوم البيت :

من حق الزوج أن لا تخرج المرأة بغير أذنه . . وأن لا تخرج إلى مكان يكرهه . .

أما إذا شرط لها ألا يخرجها من دارها أولا يخرج بها إلى بلد غير بلدها فعليه الوفاء بهذا الشرط ، لقول الرسول ﷺ :

« إن أحق الشروط أن توفوا به ، ما استحللتم به الفروج » أ . هـ[2] .

---

(١) عن فقه السنة (١٧٤/٢) .

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عقبة بن عامر .

منع الزوجة من العمل :

فرق العلماء بين عمل الزوجة الذي يؤدي إلى تنقيص حق الزوج ، أو ضرره ، أو خروجها من بيته ، وبين العمل الذي لا ضرر فيه ـ فمنعوا الأول ، وأجازوا الثاني قال ابن عابدين (من فقهاء الأحناف) :

« والذي ينبغي تحريره أن يكون منعها من كل عمل يؤدي إلى تنقيص حقه ، أو ضرره ، أو إلى خروجها من بيته . . أما العمل الذي لا ضرر فيه فلا وجه لمنعها منه ، وكذلك ليس له منعها من الخروج إذا كانت تحترف عملا هو من فروض الكفاية الخاصة بالمرأة مثل عمل القابلة .

خروج المرأة لطلب العلم :

إذا كان العلم الذي تطلبه المرأة مفروضاً عليها وجب على الزوج أن يعلمها اياه ـ إذا كان قادراً على التعليم ـ فان لم يفعل وجب عليها أن تخرج حيث العلماء ومجالس العلم ، لتتعلم أحكام دينها ولو من غير إذنه . . أما إذا كانت الزوجة عالمة بما فرضه عليها من أحكام ، أو كان الزوج متفقهاً في دين الله وقام بتعليمها ، فلا حق لها في الخروج إلى طلب العلم إلا باذنه[1] . .

تربية الأولاد :

الأولاد هم أمل المستقبل وبسمة الغد . . على سواعدهم تقوم الحضارة المنتظرة . . وبهم تحل مشكلات الناس المستعصية . .

لذا أعد الاسلام الأم اعداداً طيباً لتحمل هذه الأمانة ألا وهي تربية الولد تربية صالحة ، تقوم بتأديبه وتثقيفه وتوجيهه حتى يخرج عن الطوق فينفع البلاد والعباد . . ويقدر على السير في غمرة الزحام إلى العالم الموعود . .

وكلنا يعرف هذا البيت الجميل :

---

(١) فقه السنة للشيخ السيد سابق (٢ / ١٧٩) ط . م المسلم . .

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وأول ما تجده المرأة حملها .. يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين .. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة . فخلقنا المضغة عظاماً .. فكسونا العظام لحماً . ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم انكم يوم القيامة تبعثون ﴾[1] ..

فعلى الأم الحامل أن تحاول عدم اجهاد نفسها ، وأن تكثر من الاستحمام بالماء الفاتر فلكل من الماء البارد والساخن آثار ضارة على المدى البعيد .

وعليها أن تحرص على وجبة غذائية كاملة ، وأن تأخذ كثيراً من اللبن والخضر والفواكه والبلح .. والتمر .. وغير ذلك من الأغذية المفيدة .

كما أنه عليها أن تهدىء نفسها فلا تكثر الغضب لتكون في حالة نفسية طيبة ..

فاذا وضعت المرأة طفلها فتلوصي من حولها أن يؤذن احدهم في أذنه اليمنى ، ويقيم في أذنه اليسرى .. وذلك عقب الولادة مباشرة ..

يقول ابن القيم في ذلك « أن يكون أول ما يقرع أذن الانسان كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي هي أول ما يدخل بها في الاسلام ، فكان ذلك كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله إلى الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها ، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه وتأثره به ، وإن لم يشعر ، مع ما في ذلك من فائدة أخرى ، وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان ، وقد كان يرصده حتى يولد ، فيسمع شيطانه ما يضعه ويغيظه أول لحظات تعلقه به فتكون بداية الشيطان مع المولود بداية ضعيفة .. أو أن تكون دعوة المولود إلى الاسلام أسبق من دعوة الشيطان » أ . هـ ..

---

(١) المؤمنون : ١٢ - ١٦ .

ويجب تحنيك المولود : أي تدليلك فمه من الداخل بالتمر الممضوغ . . أو بأي مادة سكرية عملا بالسنة إن لم يوجد التمر . . وذلك لتهيئة فم المولود للرضاعة . .

ويجب أن تذبح عن الغلام شاتان وعن الأنثى شاة إن استطاع ولي الأمر ذلك . . عملاً بالسنة . .

ـ فقد قال رسول الله ﷺ : « كل غلام رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم سابعه ويسمى فيه ويحلق رأسه » أ . هـ[1] .

والواجب اختيار الاسم الحسن للمولود . . حتى ينشرح صدره طوال حياته . . فإن رسول الله ﷺ كان يغير الاسم القبيح . . . وكثيراً ما تسبب هذا الاسم القبيح لكثير من الناس بالعقد النفسية والاضطرابات وسوء الحال .

فاذا ما شب المولود وأصبح طفلا . . فعلى الأم أن تلمس فيه النزعات الطيبة وتصبغها بالطابع الاسلامي . .

وعليها أن تحول النزعات غير الطيبة إلى طباع حميدة . .

وعليها أيضاً أن تؤكد له مراراً وتكراراً الغاية من خلق الانسان على الأرض ومماته وبعثه ونشوره ووقوفه بين يدي الله للحساب . . وعليها أن تحبب له كل خلق جميل . . وتنهاه عن كل رذيلة . . وتحاول جهدها بث روح الكفاح والجهاد والاستقامة والاهتداء بالمثل العليا ومعرفة القصص الهادفة . .

فإذا ما شب الطفل علمته أمه الصلاة وأمرته بها . . بعد أن تحببه بها وترغبه في القيام بها دون أمر في بادىء الأمر . . وبعد الصلاة تصور الأم لابنها حالته وهو يقف بين يدي الله . . وأهمية هذه الوقفة في حياته وسعادته بها . . وشقاوته بدونها .

---

(١) رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

هذه لمحة سريعة أردت بها أن ألقي الضوء على عمل الأم تجاه ابنها حتى ننشىء مجتمعاً صالحاً إن شاء الله . .

كراهية المرأة لزوجها :

تقوم الحياة الزوجية على التعاون والمودة والسكن وحسن المعاشرة . . ولكن قد يسيء الزواج العشرة فتكرهه زوجته . . أو قد ينقلب بعد الزواج إلى شخص آخر . . أو قد تؤثر عليه مؤثرات جديدة تغير من شخصيته . . أو قد تكرهه المرأة لأسباب كثيرة . .

ولقد دعاها الاسلام إلى الصبر والاحتساب والمعالجة باللطف . . كما دعاه أيضاً إلى حسن المعاشرة والصبر على زوجته إذا أساءت معاشرته أو كرهها . .

فإذا لم تستطع المرأة الصبر وبلغت حداً ما . . وسلكت سبلاً لاصلاحه فلم تستطع فقد كفل لها الاسلام حرية التخلص من الزوج بالخلع . . فتعطي الزوج ما كانت أخذت منه باسم الزوجية لينهي علاقته بها . .

وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً ، الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾[1] . .

(وفي أخذ الزوج الفدية عدل وانصاف ، إذ أنه هو الذي أعطاها المهر وبذل تكاليف الزواج ، والزفاف ، وأنفق عليها ، وهي التي قابلت هذا كله بالجحود ،) وطلبت الفراق فكان من النصفة أن ترد عليه ما أخذت . .

وإن كانت الكراهية منهما معاً : فان طلب الزوج التفريق فبيده الطلاق وعليه تبعاته ، وإن طلبت الزوجة الفرقة ، فبيدها الخلع وعليها تبعاته كذلك .

قيل إن الخلع وقع في الجاهلية ، ذلك أن عامر بن الظرب . زوج ابنته ابن

---

(١) البقرة : ٢٢٩ .

أخته ، عامر بن الحارث ، فلما دخلت عليه ، نفرت منه ، فشكا إلى أبيها ، فقال : لا أجمع عليك فراق أهلك ومالك وقد خلعتها منك بما أعطيتها . .

تعريفه :

والخلع الذي أباحه الاسلام مأخوذ من خلع الثوب إذا أزاله ، لأن المرأة لباس الرجل والرجل لباس لها ، قال تعالى :

﴿ هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن ﴾[1] . .

ويسمى الفداء ، لأن المرأة تفتدي نفسها بما تبذله لزوجها . .

وقد عرفه الفقهاء بأنه « فراق الرجل زوجته ببذل يحصل له » أ . هـ[2] .

وقد ورد في السنة :

ـ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله : إني ما أعتب عليه في خلق ولا دين ، ولكني أكره الكفر في الاسلام ، فقال رسول الله ﷺ : أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم ، فقال رسول الله ﷺ : إقبل الحديقة وطلقها تطليقة » أ . هـ[3] .

تنبيه :

ولما كان الأمر كذلك فقد لجأت بعض السيدات إلى إساءة العشرة كطريقة لطلاقها إن طلقها الزوج . . فان لم يرض بطلاقها رضي بالخلع . .

وكذلك بعض الرجال ممن يؤذون نساءهم حتى يضطررن إلى الخلع . .

---

(١) البقرة : ١٨٧ .

(٢) فقه السنة (٢/٢٥٣) م المسلم .

(٣) الحديث أخرجه البخاري والنسائي . .

وقد حذر المولى عز وجل من ذلك فقال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾[1] . .

وقوله تعالى :

﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج ، وآتيتم احداهن قنطاراً ، فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً ﴾[2] .

وعلى النساء أن يجعلن الفراق نهاية المطاف بعد تقوى الله والاستعانة به على حل المشكلات بينهن وبين أزواجهن والدعاء إلى الله . . ثم الاستعانة بالأهل والأقارب ووجود حكم من أهله وحكم من أهلها . . ثم الاستعانة بمن يؤثرون عليه . . ومحاولة الظهور بعد فترة النزاع بمظهر يحبه . . فالعاقلة من عرفت زوجها ومفاتحه . . ولعل الظهور بهذا المظهر يرجعه إلى رشده . . وعليها أن تحاول جهدها الاستعاذة من الشيطان وترك كراهته جانباً والتخيل بعكس ذلك في هذه الفترة . . والله المصلح والمعين . .

٣ ـ المرأة مطلقة :

المرأة إذا طلقت بالفعل . . تنتابها حالة نفسية غريبة . . قد تؤثر على سلوكها وتعاملها مع الناس . .

والعاقلة : من اعتبرت بما مضى . . وطرحت ماضيها جانباً . . فالحياة حقل من التجارب . . والنجاح معرفة الصحيح وتطبيقه واجتناب الخطأ . .

وكل انسان معرض للفشل لأسباب كثيرة ربما لا دخل له فيها . . ولكن هكذا أراد الله ليختبر الانسان أيصبر أم لا ؟ . .

---

(١) النساء : ١٩ .

(٢) النساء : ٢٠ .

والصبر دائماً مفتاح الفرج . . لأن الصابر انما يعرف مدى صبره وتحمله . . ويجد الثمرة المرجوة دائماً . .

فالعاقلة : تبتسم وتمرح ولا تنعزل . . وتبدأ من جديد . . ولكنها ستكون هذه المرة أعظم قدراً ، وأعلى عقلاً ، وأقوى على التفريق بين الناس . . وقياس قدراتهم وطبائعهم . . ولعل زواجها قد أعطاها خبرة في فهم طبقات الناس واختلاف انواعهم . . وفهم جنس الرجال . . وتفكيرهم . .

فالمفروض أن طلاقها خطوة صحيحة في طريق النجاح المنتظر الباهر في ظل زوجية جديدة على أساس من النور ولولا الزواج لما أستطاعت معرفته والوصول إلى غوره . .

المطلقة قبل الدخول بها :

للمطلقة قبل الدخول بها نصف الصداق المتفق عليه . .

وقد تعاني أيضاً من حالة نفسية إذ عقد عليها وفسخ . . وهي أمام الناس متزوجة . .

وعليها ألا تعبأ بكلام البشر . . وأن تعتبر بما مضى . . فلقد عوضها الاسلام بنصف صداقها . . ولتبدأ من جديد . .

في حال وجود الأولاد :

فإنه في حال وجود الأولاد في منزل الزوجة فإنها لا تعمل خارجه . . لأنها فطنت لأهمية وجودها بجانب أولادها . . وإلى خطورة بعدها عنهم . .

ولكن . . بعد طلاقها . . تخرج إلى العمل أحياناً . . اما انتظاراً للنفقة أو لتحسن مستوى معيشة أولادها خاصة وأنهم يفتقدون أباهم ، أو مراعاة لأمور كثيرة . .

فإذا خرجت . . فانها تعي تماماً أنه سيكون على حساب أولادها . . والسبب غياب أبيهم . .

فليتها تستطيع أن تجتهد في اعطائهم أكبر قدر من العلم والثقافة والتربية الصالحة . . وليتها تحاول جهدها أن تصل إلى نفوسهم فتعلمهم أن الانفصال انما حدث لظروف صعبة . . أو أنه من فعل الشيطان ونزعاته . . ولا تظهر أباهم أمامهم بصورة سيئة ليشبوا وهم يحبونه . .

وليتها تدرك أن أولادها بحاجة اليها أشد الاحتياج . . وأنا أعلم أن قلب الأم يدرك أكثر من هذا بكثير . . ولكنها التذكرة فمعذرة .

المطلقة بدون أولاد :

قد تكون المطلقة بدون أولاد . . فهي ملازمة لبيت أبيها . . أو بيتها . .

فتحس بالفراغ الشديد . . وتتمنى الحياة الزوجية مرة أخرى ولكن بصورة أفضل بعيداً عن المشكلات وسوء العشرة . .

وفي عصرنا كثير من أدوات التسلية وتنمية الثقافة العامة . . مثل قراءة الكتب والمجلات . . وسماع المسجلات من القرآن والابتهالات والبرامج الدينية وغير ذلك . .

وأنصحها بألا تقرأ روايات أو قصصاً تتلاعب بأعصابها .

وعلى كل . . فالمسلم أينما وجد . . وفي أي حالة كان . . لا تؤثر فيه صدمات الحياة . . ولا توقفه عقباتها . . لأنه في الطريق قدماً ما دام يتبع الحق . . فان ضل عاد إلى رشده . . واستغفر وتاب وأناب . . لا تهمه الدنيا ومن فيها . . لأنه مع الله دائماً . .

كيف ينتابه قلق . . أو حرج . . أو مرض . . وقد أصلح الله باله . . وهداه سبيله ؟ . .

نظرة من وراء القضبان

١ ـ الأسرة هي الأمة الصغيرة ، ومنها تعلم النوع الانساني أفضل أخلاقه الاجتماعية ، وهي في الوقت نفسه أجمل أخلاقه وأنفعها . .

من الأسرة تعلم النوع الانساني الرحمة والكرم ، وليس في أخلاقه جميعاً ما هو أجمل منهما وانفع له في مجتمعاته . .

فالرحمة في اللغة العربية من الرحم أو القرابة ، وهي كذلك في اللغات الهندية الجرمانية لأن كلمة « كايند » مأخذوة كذلك من الرحم ، وكلمة الطفل التي تتمثل الرحمة كلها في العطف عليه مأخوذة منها . .

وإذا تتبعنا سائر الفضائل والمناقب الخلقية المحمودة بلغنا بها في أصل من أصولها على الأقل مصدراً من مصادر الحياة في الأسرة . . فالغيرة والعزة والوفاء ورعاية الحرمان كلها قريبة النسب من فضائل الأسرة الأولى ، ولا تزال من فضائلها بعد تطور الأسرة في أطوارها العديدة منذ عشرات القرون .

ولا بقاء لما كسبه الانسان من أخلاق المروءة والايثار إذا هجر الأسرة وفكك روابطها ووشائجها[1] .

فهذه الصفات الطيبة التي تخرجها الأسرة . . لا بد وأن تقويها وتعمل على تماسكها وصلادتها . . فالأسرة أقوى من أن تهدها نائبة . . أو تهزها كارثة . . لأنها أقوى من أحداث الزمان . . ومشكلات الدهور . . وعلى فرديها مناقشة المسائل بوضوح وصراحة ومحاولة الوصول إلى الحق . . مع التسامح والمودة . . وبهذا تصل إلى بر الأمان دون مشكلات . .

٢ ـ من المعلوم . . ومما سبق . . أن الاسلام لم يهبط بمنزلة المرأة في جانب من جوانب حياتها العامة أو حياتها البيتية التي وجدها عليها ، ولكنه ارتفع بها من

---

(١) حقائق اسلام وأباطيل خصومه ـ للعقاد ط . دار الهلال ـ بتصرف (١٣٧)

الدرك الذي هبطت اليه في الحضارة الغابرة وعقائد الأمم التي تأثرت بتلك الحضارات قبل ظهوره ، وكلها لم تكن على حالة مرضية في بلاد العالم المعمور . .

كانت المرأة في الحضارة الرومانية تابعاً لها حقوق القاصر و ليست لها حقوق مستقلة على الإطلاق . .

وكانت في الحضارة الهندية عائقاً للخلاص من دولاب الحياة الجسدية ، وخلاص المرء مرهون « بالموكشا » أي الانفصال عنها ، وكان حقها في الحياة منتهياً بانتهاء أجل الزوج ، تحرق على جدثه عند وفاته ولا تعيش بعده الا حاقت بها اللعنة الأبدية ، وتحاماها الآل والأقربون . .

وكان للمرأة في الحضارة المصرية القديمة حظ من الكرامة يجيز لها الجلوس على العرش ويبوئها مكان الرعاية في الأسرة ، ولكن الأمة المصرية كانت من الأمم التي شاعت فيها عقيدة الخطيئة بعد الميلاد وشاع فيها مع اعتقاد الخطيئة الأبدية أن المرأة هي علة تلك الخطيئة وخليقة الشيطان وشرك الغواية والرذيلة ، ولا نجاة للروح الا بالنجاة من أوهامها وحبائلها . .

وكانت معيشة البداوة في الجاهلية العربية تمنح المرأة بعض الحرية لأنها كانت عضواً نافعاً في تلك المعيشة البدوية تسقى وترعى وتنسج وتستخرج الطعام من الألبان والثمرات ، ولكن هذه المعيشة البدوية نفسها كانت ترغب الآباء في ذرية البنين وتزهدهم في ذرية البنات ، لأن البنين جند القبيلة وحماة حوزتها وعدتها في شن الغارات والتأهب لردها ، فلم يكن أبغض إلى الأب من خبر يأتيه بمولد أنثى ولو كان ذا وفر ووفرة ، ومنهم من كان يئد البنات إشفاقاً من العار إن لم يئدهن خشية املاق[1] . .

قال تعالى :

﴿ أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ، وإذا بشر أحدهم بما ضرب

(١) المرجع السابق ـ بتصرف ـ (١٤٣) .

للرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ . .

فلما بعث النبي ﷺ بالدعوة الاسلامية لم تكن للمرأة منزلة مرضية ولا حقوق مرعية في وطن من أوطان الحضارة أو البداوة فرفع الاسلام عنها هذه الوصمة وخولها من الحقوق ما يساوي حقوق الرجل في كل شيء إلا في حق القوامة . .

قال تعالى :

﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ . .

وقال :

﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ .

فإذا كان هذا حالها . . وقد نالت بالاسلام حقوقها . . فلا ينبغي لها أن تعبأ بهؤلاء الذين ينفثون سمومهم اليها . . فتخضع لآرائهم تحت شعارات لا أساس لها من العلم أو المنطق . . وأوهام لا وجود لها في عالم الحياة . .

وجدير بها ألا تظن أنها برفع أنفها واستعلائها . . تستطيع أن تتحكم في زوجها . . والعاقلة من كانت لزوجها أمة . . فكان زوجها (بالتأكيد) لها خادماً . .

فالعطاء في المجال الانساني متبادل . . الا عند شرذمة قليلة ممن قد طمست قلوبهم الغباوة والظلمات . .

فالمرأة المعطاءة تجد دائماً عطاء يماثله بل يزيد . . وهي تعطي حياتها لأبنائها لسعادتهم . . لأن عطاءها لزوجها هو عطاء للأسرة التي يجب أن تكون صلبة صلدة . .

فإن جنحت قليلا في وقت غضب . . أو في زمان مظلم . . فسوف يعود إليها حلمها وطيبتها فتفوز برضا الله في الدنيا والآخرة . . وبحياة سعيدة بناءة في أسرتها . .

كلمة حق :

صاحبة خبرة طويلة في عالم الشهرة . . مثقفة نتيجة ما تقوم بـه من اعداد للبرامج وكتابة للاسئلة . .

عاشت طويلا . . تولت مناصب مرضية . . حققت من الشهرة ما لم تستطع غيرها تحقيقه سئلت يوماً من قبل مجلة المرأة فأجابت فأحسنت الاجابة . . أشهد لها أنها قالت كلمة الحق[1] . .

ـ سئلت عن الشهرة في نظرها :

فقالت : لا تساوي لحظة حب . . ودفء . . وحنان . .

ـ سئلت عن الكلمة الحلوة . .

فقالت : يفتقدها الزوج من زوجته . . وتفتقدها الزوجة من زوجها . .

ـ سئلت عن ست البيت ؟

قالت : هي أسعد مخلوقات الله . .

ـ سئلت عن المرأة العاملة ؟
قالت : ظلمت نفسها . .

ـ سئلت عن المرأة ؟
قالت : هي ٩٥٪ من نجاح أو فشل أي بيت . .

ـ سئلت عن النجاح ؟
قالت : أن يجد الانسان نفسه . .

ـ سئلت عن الإرادة ؟
قالت : أن يراجع كل انسان نفسه . .

---

(١) السيدة : آمال فهمي في لقاء مع (حواء) عدد (١٤٢١) سنة ١٩٨٣م

ـ سئلت عن الفشل ؟
قالت : أن تعمل المرأة . .

ـ سئلت عن الطموح ؟
قالت : أن ينجح الرجل في بيته . . وأن تنجح المرأة في بيتها .

ـ سئلت عن الوهم ؟
قالت : أن تعتقد المرأة أنها تنافس الرجل في عمله . .

ـ سئلت عن التعاسة ؟
قالت : في أن تنجح المرأة في عملها وتفشل في بيتها . .

ـ سئلت عن البلاء ؟
قالت : عندما اقتحمت المرأة ميادين العمل ، وتصورت أنها تستطيع أن تنافس الرجل . .

وتسأل بعد ذلك كله عن أمنيتها فتقول :
« أن تعود المرأة إلى البيت » أ . هـ .

حقا أنها لتجربة قامت بها عاقلة فخرجت منها ، بكل هذا الفكر النير الوضاح الذي يبرهن على فهمها لأحداث الحياة . . ومشكلات الدهر ، وعقبات الزمان . . وما يجري في الكون من شؤون وشجون . . فأيقنت بالحق فقالته . . حقا . . إن للثقافة دورا فعالا في فهم واقع الناس حقيقة كما هو بلا تزييف ولا تغيير . .

أرجو من بنات جنسها أن يفهمن هذه المعاني الطيبة . . وأن يعلمن أغراض الذين يضللوهن (لحاجة في نفس يعقوب قضاها) .

فالكرامة الحقيقية أن ينال الانسان مطلبه من الحياة بعيداً عن المشكلات . . أما وأن نداءاتهم قد أنجبت كثيراً من الأعباء والمشكلات فهذا صحيح وبذلك تكون قد أعلنت فشلها . .

خاتمة

لقد رأيت أخت الاسلام . . كيف أن المشكلات في حياتنا لها دور في انتاجنا وسعادتنا . .

فالسعداء حقاً من تتبعوها فاقتلعوها من جذورها ورموا بها في مياه الأرض الكثيرة . .

نعم . . لن يخلو مخلوق من مشكلة . . ولكن تتفاوت هذه المشكلات فمن المشكلات من يطيح بعقل ولب صاحبها ومنها ما يؤرقه لحظة كل يوم أو كل أسبوع . .

والمسلمة تحاول جهدها أن تحل مشكلاتها . . مستعينة بالله جل وعلا . . فإن عجزت استشارت أولي الرأي . . وأصحاب الفكر المستنير .

ولتعلم أن ما أصابها إنما هو لامتحانها أتصبر أم تكون من الغاضبين ؟ . . فلتفوض أمرها أولا وأخيراً إلى خالقها رب العالمين .

ولقد بذلت قصارى جهدي في تصنيف ما يقع في حياة المرأة من مشكلات . . حتى يضم هذا العمل القليل كل ما يعرض عليها في حياتها . . وختاماً أعلم أنه ينقصه الكثير . . ذلك أن الكمال لله وحده . .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . .

ابراهيم محمد الجمل

المراجع

١ ـ أحكام القرآن ـ للجصاص ـ ط دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٢ ـ مجموع الفتاوى لابن تيمية ـ ط ابن تيمية .

٣ ـ بدائع الفوائد لابن القيم ط بيروت .

٤ ـ فقه السنة للشيخ السيد سابق ط م المسلم .

٥ ـ الفقه الواضح للشيخ محمد بكر اسماعيل ط المكتبة التوفيقية .

٦ ـ نيل الاوطار ـ للشوكاني ـ ط م الكليات الأزهرية .

٧ ـ السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ـ للشوكاني ـ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

٨ ـ الدستور القرآني ـ محمد عزة دروزه ـ ط المكتب الاسلامي .

٩ ـ الحاوي في الفتاوي ـ للسيوطي ط بيروت .

١٠ ـ سبل السلام للصنعاني ـ ط دار الحديث بالقاهرة . . .

١١ ـ أخبار النساء ـ لابن القيم .

١٢ ـ فقه المرأة المسلمة ـ ابراهيم محمد الجمل ط م القرآن .

١٣ ـ فتاوى النساء لابن تيمية ـ تحقيق ابراهيم محمد الجمل ط م القرآن .

١٤ ـ اغاثة اللهفان لابن القيم ط الحلبي بمصر.

١٥ ـ الاسلام أنصف المرأة ـ د. عبدالغني الراجحي ـ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة.

١٦ ـ الجمال والحرية والشخصية الانسانية في أدب العقاد ـ د. نعمات احمد فؤاد ط دار المعارف.

١٧ ـ اشجان الليل للاستاذ العقاد.

١٨ ـ المرأة في الاسلام للاستاذ العقاد ـ ط دار الهلال.

١٩ ـ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه للاستاذ العقاد ـ ط دار الهلال.

٢٠ ـ سيكلوجية المرأة د. زكريا ابراهيم م مصر (ط سنة ٧٦).

٢١ ـ الشذوذ النفسي ـ د. مصطفى فهمي ـ ط م مصر.

٢٢ ـ قضايا في التحليل النفسي، نخبة من العلماء، اختيار ومراجعة ـ اميل خليل بيدس ط دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

٢٣ ـ الاحتلال ـ نجيب يوسف بدوي ـ م مصر.

٢٤ ـ مقال لجورديان عن مجلة المانية تصدر بمدينة همبورج تحت اسم «شتيرن» عن الدوريات بدار الكتب المصرية.

٢٥ ـ تحقيق مجلة حواء «حوار مع السيدة آمال فهمي» عدد ١٤٢١ سنة ١٩٨٣م.

٢٥ ـ كتب السنة والمعاجم بأنواعها... ومعجم الفاظ القرآن الكريم.. ومعجم الفاظ الحديث الشريف.

الفهرس